

## المشروع القومي العربي حقيقة حية فاعلة

من أجل ثقافة عربية معاصرة تقطع مع "المناكفة"

وتؤسس لمفهوم جديد لمواجهة التحديات

"الحلقة الأولى"

يوغرطة السميري - تونس - المهدية

### الانسداد التاريخي في المجتمع العربي ماذا؟ والي أين؟

ما من أحد ينكر حالة الانسداد التاريخي في المجتمع العربي لا بمفهوم الرؤية القادرة علي التصدي سواء بصيغة التصور أو الفعل بحكم كونها قائمة فعلا متوصلا بصيغة صراع إرادات... وإنما بصيغة التواصل المنفتح الواعي لما يتربص بنا من استهداف قائم ومؤشر في أكثر من جانب... انسداد مركب بصيغة التراكم المتوارث عن استحقاقات لم تعد قائمة (كل يري في نفسه أهلية تاريخية قد حرم منها) من ناحية ومن ناحية أخرى اختلاف في النظرة بناء علي قراءات متباينة منهجا وتحليلا للواقع العربي في ماضيه وحاضره وأفاق تطوره... بما جعل منه انسداد ظاهري علي مستوي الرؤية وما ينضح عنها من سلوكيات أو أفعال... انسداد ينهرب الكل من تأشير بداياته انطلاقا من : اعتباره عند البعض حقيقة مفهومة بناء علي معاشته متناسيا صيغ التخريب المعرفي الذي مارسه برامج التربية والتعليم في الدولة القطرية وتوجهات الإعلام القطري أو العالمي بكل أشكاله خلال العقود الثلاث المنصرمة أو انطلاقا من وعي ضمني أو مفعل بما هو موجود عند البعض الآخر وبمفهوم الطرف العامل علي تكريس الحالة للعودة بالأمة العربية فكريا وعمليا لذات النقطة التي انطلقت منها لمواجهة الاستعمار المباشر بصيغة التعويض عما فاتته وان كان باستخدام شعارات العصر وأدواته بما يخلق له التواجد المريح علي حساب الشعب في أدني الحلقات وعلي حساب الأمة في أوسع حلقاتها أو تحسبا مما يؤشره ذلك من خطاب مزدوج يجعل من فعله الأنبي منكشف في هدفه.. لذلك لا يتردد في استخدام وتعميم ثقافة "المناكفة" باعتبارها تغيب المعني وتدفع إلي مفهوم الدفاع السلبي أولا واليأس ثانيا... في الوقت الذي نري فيه أن الأمة في أوكد الفترات التي هي فيها لثقافة المواجهة الاقتحامية لما يستهدفها من تحديات... بما يجعل من حالة الانسداد القائمة حالة مصطنعة

هدفها معاكس لحركة التاريخ وبالضد مما تراكم من أفعال في شكل ناتج سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي للدولة القطرية (المرفوضة من الطرفين) وإن كانت لا تخلو من نقد فهي تؤشر علي بداية دخول الأمة العربية فترة التاريخ المعاصر بكل ما يعنيه الدخول من تعاطي ومفرداته بصيغة مقاييس متعارف عليها عالميا(المعرفة والعلم/ التكنولوجيا/ الثروة)... مما يجعل التساؤل ملحا حول طبيعة هذا الانسداد هل هو حقيقة أو مصطنع؟ وهل يتحمل المشروع القومي تبعاته؟ وإلي أين يهدف؟

## - انسداد تاريخي حقيقي أم مصطنع؟

### 1- واقع المنطقة العربية.

في تحديد طبيعة هذا الانسداد لا يختلف اثنان في أن صرة السياسة الدولية الآن هي المنطقة العربية فمن يحكم سيطرته على هذه المنطقة يؤسس لفعل حضاري يتجاوز حدوده الجغرافية والبشرية ليصبح فعل إنساني ذا تأثير شمولي تماما كما كانت في السابق إذ من خلال هذه المنطقة ومن حولها عرف التاريخ البشري أبرز تحولاته الكبرى المادية والمعنوية الفكرية وفي عديد الحالات على حساب سكانها. كالصراع الانكليزي الفرنسي الذي تمحور في نهايته حولها وانتهى إلى اتفاقية (سايكس - بيكو) التي أنهت العداء بين المسيحية واليهودية على حساب العرب حتّى الصراع بين العالم الرأسمالي والعالم الاشتراكي حسم على حساب هذه المنطقة بما أفضى في نهايته من استهداف أمريكي مباشر للمنطقة بناء على عدّة عوامل متداخلة ويصعب الفصل بينها أو ترتيبها.

### - عامل تاريخي حضاري :

رغم هيمنة المناخ القاحل أو شبه القاحل على المنطقة العربية من الخليج إلى المحيط مما يعني أنّها منطقة طاردة باعتبار النظرة الكلاسيكية لمناطق الطرد أو الجذب فهي كسمة لعبت الدور الأساس والحات للإنسان منذ القدم على العمل والتكيف معها واستنباط مختلف الأدوات الضرورية لتجاوز هذا العامل، ماديا : الانتقال من مرحلة التقاط الغذاء إلى مرحلة إنتاجه وهو ما عبرت عنه الزراعة والاجتماع. معنويا ترتيبيا : القوانين والتشريعات لتتوج بما هو روعي تنظيمي فردي وجماعي متمثلا في ظهور الأديان السماوية وما لعبته هذه الأديان من دور في صياغة النظرة الجماعية لمفهوم الحياة عند مختلف الأمم والموقف من الآخر سواء تعلق الأمر بمن هو ملتزم أو لغير الملتزم بها. القابل لها بالوراثة أو من خلال

الدراسة المطبق لها أو الناقد الراض لها وبناء على ذلك لعبت هذه المنطقة دور قاطرة الحضارة الإنسانية لأكثر من ثلاثة أرباع التاريخ البشري المكتوب مما يعني بالنتيجة وجود إنسان علمته الطبيعة وإرثه الحضاري التطلع دوما لما هو أرقى وأوسع وبما يضمن له حرية الفعل والتأثير الإيجابي فهو ينجذب سريعا لما هو خير ويرتد رافضا مقاوما لكل ما هو شر أو لما يشعره بأنه الأقل من الآخر وفي أسوء الحالات يستقبل مؤجلا فرصة الرد إلى اللحظة التي تتجمع له الإرادة لذلك. ميزة اجتماعية لا تخلو من خصوصيات يصعب وجودها لدى مجتمعات أخرى وإن وجدت فهي بالتقابل ورغم ما توحى به هذه الميزة من بساطة إلا أنها الأكثر تعقيدا وأكثرها فعلا حضاريا مؤثرا...بحكم كونها حافظت وبالرغم من تعدد الأزمات والاستهدافات علي استمرارية الأمة العربية وصيرورتها الفاعلة في التاريخ كما أنها مثلت مدخلا للاستغلال بالضد من طموحات الأمة في التحرر أو استعادة البناء الذاتي لها... حالة استغلها الانكليز في التاريخ المعاصر خلال الحرب الأولى وكلفتهم سمعتهم لاحقا وما واكب ذلك من فقدانهم لنفوذهم بما في ذلك المعنوي منه حتى لدى الشرائح الاجتماعية التي لا زالت منبهرة بقيم الغرب ويحاول الأمريكيون استغلالها استنادا لما وضعته مؤسسات البحث عندهم من تصورات بناء على معلومات مبتورة استقتها أجهزتهم أو قدمت لهم من أناس لا تخلو الأمم منهم في أي فترة من فترات التاريخ ممن يقدمون مصلحة الأجنبي على مصلحة بلادهم وشعبهم وما وجدوه عند بعض الثقافويين من تجاوب مرده حالات اليأس من تحول داخلي يمكن أن يعاصروه في وضعية المتفرج لا الفاعل وهم في ذلك لم يستفيدوا من تجارب شعوبهم تماما كما فعل "ماسينيسا" في علاقته بالرومان وعدائه لقرطاج ليجد أحفاده أنفسهم مجبرين نتيجة تعارض في المصلحة على محاربة روما. فالأمريكيون يجهدون أنفسهم وبكل الوسائل المادية "مساعدات، احتضان المبتورين..." والمعنوية "الإعلام والأجهزة السمعية البصرية" لإقناع سكان المنطقة العربية بأنهم مسالمون أتوا لتأكيد الذات الحضارية للمنطقة من خلال طرح المشاريع "الشرق الأوسط الجديد"..." الديمقراطية والمجتمع المدني كآخر ما لوحوا به ".. ظاهرها تحول وباطنها طمس الهوية الحضارية المتجانسة للمنطقة من خلال التأكيد على الخصوصيات وإبرازها سواء ما كان منها قطري أو قومي أو إقليمي.. اثني أو اجتماعي ديني "حتى داخل الدين الواحد إسلام متفهم سمح (معتدل) وإسلام إرهابي(متعصب).." خصوصيات كانت ولا زالت عامل ايجابي وإثراء حضاري للمنطقة كلما توفرت الإرادة

الخيرة في أبنائها... ولتكريس هذا التوجه وكجزء من توجههم الكوني استهدفوا العراق استهداف ينم على دراسة لا تخلو من فهم لبعض من الجزئيات المعلنة عن المنطقة، فالعراق استهدف بهذا الشكل والحجم الذي نعيشه ليس فقط كتجربة توفرت لها الإرادة الخيرة للبناء والتجديد الحضاري رغم ما لهذا العامل من دور فاعل ومهم في السلوك الأمريكي إزاء العراق وقيادته وإثما كذلك لكونه يختزل مشاكل المنطقة كلها "تنوع ديني عرقي، الثروة والإنسان المتحضر للبناء والنهوض" في حيز جغرافي محدود. ولكون قيادته تنبعت لذلك ونبعت إليه سواء فيما يتعلق بشخصية المواطن العربي وما هي عناصر قوّة هذه الشخصية ومواطن ضعفها وكيفية علاجها أو في كيفية التعامل مع الخصوصيات القطرية وكيف يمكن أن تكون مدخلا للتأمر على الأمة مثلما هي ركيزة من ركائز البناء الحضاري بما في ذلك الموقف من الدين لذلك رأينا ونرى إصرارا أمريكيا على تدمير كلّ شيء بالعراق بالرغم مما يروجونه من انسحاب إعلامي مع بقاء الاحتلال الفعلي قائما وإن كان بصيغة التسليم للنائب الإقليمي المتحالف استراتيجيا بما يفيد المصلحة المتبادلة معه.

### - اقتصاديا سوقيا :

رغم سمة الطرد التي تميّز المنطقة العربية من المحيط إلى الخليج باستثناء بعض الحواشي الخصبة المحدودة المساحة الجاذبة فهي منطقة عبور ميزة أكسبتها خلال العصور التاريخية دورا فاعلا في العلاقات بين الأمم والشعوب الأخرى وجعلها ولفترات تاريخية طويلة تتحكم في المبادلات العالمية دون أن تخضع لتبعية اقتصادية بل أسست بما أبدعه الإنسان في هذه المنطقة من وسائل وضوابط هي الآن مرتكزات تطور هذا القطاع "النقد، الموازين، الطرق التجارية، الحساب كعلم، التأمين، الشراكة حتى النمط الاقتصادي الربيعي (سمة العولمة الاقتصادية القائمة حاليا).. الخ..." حالات حافظت عليها حتى في الفترات التي سجل فيها فعلها الحضاري تراجعا لحساب جهات مجاورة أو دخيلة لذلك استهدفت المنطقة تحت طائلة هذه الميزة سواء في التاريخ القديم "الصراع الفارسي - الروماني" أو الوسيط "الحروب الصليبية" أو الحديث "الصراع الفرنسي الانكليزي" {المسألة المصرية وأهميّة قناة السويس} وبتنامي الثورة الصناعية ودخولها المرحلة الصناعية الانتاجية وازدياد الحاجة لموارد الطاقة تتأكد أكثر الأهمية السوقية (الإستراتيجية) للمنطقة ليس محليا فحسب وإنما لدى من له تصور للهيمنة الشاملة على العالم وذلك بما

توفره المنطقة من ميزتين.

**الأولى :** الموارد التي تمثل احتياطيا ضخما قابلا للاستغلال بأقل كلفة ليس الطاقة فحسب بل كذلك الموارد الأخرى في زمن بدأت تسجل فيه هذه الموارد نضوبا مع كلفة مرتفعة في مواقع أخرى في العالم.

**الثانية :** السوق الضخمة أكثر من 350 مليون نسمة قابلة للترفيه في مستوى استهلاكها بنسب مغرية للشركات العابرة للقارات. نتيجة الزيادة الديمغرافية التي تسجلها أو نتيجة التحولات الاجتماعية الهامة. ميزتين انتبعت لها مؤسسات البحث الأمريكية وأدخلتها في الحسابات الإستراتيجية الأمريكية منذ نهاية الحرب الثانية فترة التحوّل من قوّة عالمية منافسة إلى قوّة عالمية مهيمنة على العالم الرأسمالي لتتدخل في المنطقة بشكلين.

**أولها :** شكل الرقيب المباشر لاتجاهات التطور في المنطقة وذلك من خلال تبني الكيان الصهيوني واعتماده كحالة اعتراضية أولى عند الضرورة لإجهاض أي تحول بالضدّ من الإستراتيجية الأمريكية.

**ثانيهما :** شكل المنافس للبريطانيين والفرنسيين بدرجة أقل والصديق الطيّب للعرب بهدف ربط المنطقة بالإستراتيجية الأمريكية ضمن ما تتطلبه حالة التقابل مع العالم الاشتراكي آنذاك ويتأكد هذا التدخل في فترة الانفراد بإدارة السياسة الدولية وتجدت بدخول القوات الأمريكية للعراق وما اتخذته من مظاهر حرص على الموارد "النفط والكبريت" وما واكب ذلك من طرح لبرامج خوصصة وفي الجانب الثاني تدمير مراكز البحث ومؤسسات الإنتاج وتفكيك معامل بالكامل وتحويلها إلى بعض الأقطار كنفائات قابلة للبيع إلى جانب قتل العلماء والكفاءات المعرفية والمهنية الأخرى. وهو ما يثبّت الرؤية التي كانت للقيادة العراقية في أنّ المنطقة العربية أصبحت للإستراتيجية الأمريكية بعد الانسحاب من الفيتنام مسألة حيوية لا يمكن أن تتغير إلا بفعل تلاقي الإرادات الوطنية في المنطقة على ما هو قومي مصيري لذلك بادرت بطرح استراتيجية مضادة تعامل معها العرب بسطحية تامة (مشروع ميثاق العمل القومي 1980 الذي فسر بغير معناه الإستراتيجي من قبل ثقافتوبوا البترودولار وغيرهم من ذوي التفكير العابر لحدود الأمة). سطحية نجد تفسيرها في الجانب السياسي الذي يحكم المنطقة والذي تستغله الولايات المتحدة في كلّ جزئيا ته.

**- سياسيا وهيكليا:**

منذ انهيار الدولة المركزية التي هي وليدة النهضة وتعبير عن الانسجام والتوافق بين العروبة والإسلام رغم البعض من نقائصها نهاية القرن التاسع وبداية العاشر معنويا وماديا منتصف القرن الثالث عشر فإن الحالات التي أرادت أن تحلّ محلها سياسيا وهيكليا لم تستطع الارتقاء إلى درجة اعتبارها دولة وبقيت رهينة تكوينها الطائفي الأثني كحالة البووبهيين ورفضهم الانضمام إلى الدولة الفاطمية رغم الانتماء الطائفي الموحد "شيعية إسماعيلية" أو الطائفية "الاجتهادية" كدولة الموحدين في غرب المنطقة مما يعني العجز عن تجاوز نقائص الدولة المركزية التي كانت سببا من أسباب انهيارها. لتفرّخ هذه الحالات هياكل محلية استطاعت المجموعات المجاورة للمنطقة توظيفها لتصبح المنطقة عرضة للتأثير السياسي وبما يخدم مصالح أطراف خارجية العثمانيين أولا والقوى الاستعمارية ثانيا التي وإن انحسر نفوذها المباشر إثر موجة الاستقلال فقد حافظت على نفوذ غير مباشر أو نفوذ بالنيابة من خلال ما أوجدته من هياكل قطرية وشرائح اجتماعية مرتبطة بها وفرت لها الحماية الخارجية أولا وياشتداد الصراع وتقابل الاستراتيجيات الذي طبع فترة الوفاق الدولي وفرت لها الحماية الداخلية لاغيه حتّى العلاقات البينية التي أوجدتها حالة المواجهة مع المستعمر لتقتصر على ما هو أمني وبما يضمن استمرارية هذا الوضع لتتحول الدولة كمفهوم من مؤسسة حامية للشعب ومصالحه وحائثة على النهوض الاجتماعي والاقتصادي والعلمي إلى مؤسسة تعمل على تأليه هياكلها "بيروقراطية" وتخليد مسيرتها كأفراد [يحيا القائد، يحيا المعلم، يحيا المناضل بالروح بالدم نفيديك يا.....] شكل هجين من أشكال الدولة الكليانية أقل نصج حتّى من المثال الإغريقي "لبيزستراتوس" في العهد الكلاسيكي فما بالك بالمثال الألماني أو الإيطالي أو التركي في القرن العشرين باستثناء بعض الأمثلة رغم نواقصها المحدودة منها :

أ- تجربة عبد الناصر في مصر التي أغرقت في الحالة القومية التي لم تقدم لها غير السند العام المعنوي ذا الصبغة الجماهيرية مقابل فعل معادي مادي... أضيف إلي ثقل التركة القطرية المطالبة بإيجاد حلول لها تجربة ضُربت من الداخل إثر وفاته.

ب- تجربة العراق خلال الثلاثين سنة الأخيرة (1968-2003) والتي حاولت الولايات المتحدة اعتراض تحوّلها من ظاهرة قطرية إلى ظاهرة قومية بشتى الطرق بشكل غير مباشر : الحصار الاقتصادي بداية السبعينات إيران الشاه والمسألة الكردية 75/74 أسعار

النفط بهدف عرقلة خطط التنمية في العراق] منذ 1977. إيران الخميني وحرب الثماني السنوات وبشكل مباشر إثر انتصار العراق في حرب الثماني سنوات بافتعال أزمة الكويت والحرب المباشرة سواء منها العسكرية سنة 91-2003 والقائمة حتى الآن أو الاقتصادية فيما مثله الحصار الاقتصادي خلال ثلاثة عشر سنة. طارحة شكلا بديلا للدولة الوطنية هي حتى الآن عاجزة عن إيجاد مرتكزات مادية له بفعل المقاومة الرائعة لأبناء العراق والتي يستكثر الإعلام الرسمي للدولة القطرية في المنطقة العربية الاعتراف بها ويختزلها في "مسلحين مجهولين" في بداية ظهورها واعتماد التعتيم الكلي عن فعاليتها الحقيقية وتصنيفها بصيغة التقابل الطائفي لاحقا تصنيف لا يلغي استهداف مبيت بصيغة خلق المثال القابل للتعظيم" وهو بذلك يدعم صفة التبعية لهذه الهياكل للأجنبي.

من هكذا عرض يبدو الانسداد التاريخي في المجتمع العربي لا يستند إلي معطيات حقيقية في الواقع بقدر ما هو انسداد مفتعل يهدف خلق مرتكزات بمفهوم الأداة المحلية لإلغاء دور الأمة العربية المستقل وبما يسمح بتوظيفها إما في أجزاء منها أو كلها لفائدة غيرها من القوي الخارجية طبقا لمقتضيات السياسة والمصالح الدولية وبما يؤكد أهمية المنطقة "صرة العالم" في السياسة الدولية...فما هي بدايات هذا الانسداد ومظاهر تطوره وطرق تفعيله؟

## **2- بدايات الانسداد التاريخي التطور والمظاهر وطرق التفعيل.**

إن البحث عن بدايات الانسداد التاريخي القائم حاليا يفرض العودة النظرية لبدايات النهضة العربية الحديثة لماذا؟ لكون التقابل القائم حاليا هو ناتج تراكمات تاريخية من ناحية ومن ناحية أخرى يحكمه أفق ومرتكزات النظرة الفكرية واتجاهات فعلها لكلا الطرفين الذي ولدتهما النهضة... فإذا كانت نقطة الانطلاق حكمها التداخل بمفهوم الإصلاح وبصيغة الرد علي تقدم الغرب رغم الاتفاق علي ضرورة الاستفادة من أساليب تقدمه ورفض الواقع المتخلف والعمل علي تغييره باستحضار حالات الصعود الحضاري وعواملها إلا أن اختلافا جوهريا تأسس مع بداية استهداف الخلافة العثمانية بين مدافعا عنها بصيغة الإرث الجوهري النتيجة ولادة التيار الإسلامي لاحقا وما بني عليها من تصورات فكرية تتجاوز المجال الجغراسياسي القومي... ومن اعتبرها مرحلة من مراحل التحرر والتخلص من حكم أجنبي (استعمار) خاصة وأن العثمانيون مارسوا سياسة التتريك في أشنع صورها

النتيجة ولادة التيار القومي... **حالة صاغت نفسها بالتقابل في فترة ثنائية الاستقطاب الدولي ما بعد الحرب العالمية الثانية أو في فترة الوفاق مما أدى إلي :**

أ- اختيار التيار القومي لصيغة الانحياز الايجابي بما يعنيه من نضال تحرري ووقوف مساند ومشارك في الأشكال الهادفة للتحرر الوطني والقومي موقف واختيار نضالي حضى بمباركة وصدافة القطب الاشتراكي مما جعل الساحات القطرية التي كان للتيار القومي تواجد فاعل بها تصنف بحسابات تقسيمات الاستقطاب الدولي علي كونها ساحات سوفيتية...ساحات تمكنت رغم النقائص التطبيقية من إرساء مفهوم الدولة الوطنية التي تخلصت من صيغة الخيام المتعددة وصاغت إلي حد ما مفهوم مجتمع المؤسسات بما يعنيه من قرارات وقوانين...

ب- اتجاه التيار الإسلامي نحو الاصطفاف الفعلي خلف المعسكر الغربي (بحجة محاربة الإلحاد الاشتراكي حجة لم يتردد في إلصاقها بالتيار القومي ومعاداته نظرة وفعلا لازالت مفعلة توجيهها وخطابا) ولقي كل الاحتضان والدعم في الساحات القطرية العربية المحسوبة علي الغرب وأمريكا خاصة وأنخرط خطابا ومعادة وتعاونوا وسلوكا فاعلا في محاصرة كل فعل وطني أو قومي في تلك الساحات التي حافظت فيها الدولة علي شكلها التقليدي بصيغة خيام متعددة الولاءات الهدف منها حماية خيمة العائلة المالكة... ومجتمع ترابي يستند فيه التسيير إلي الأكثر جاه ونفوذ والأقرب ولاء للخيمة المالكة..

فترة بصيغة المرحلة خلقت رؤية وأدوات لكل طرف متقابلة تصورا وفعلا النتيجة أن عبرت عن نفسها بصيغة عداء تبلور بشكل تصاعدي مع بداية التفرد الأمريكي بإدارة السياسة الدولية منذ سقوط ثنائية الاستقطاب الدولي سنة 1990... وتأكدت مع احتلال العراق.. الذي لعب فيه التيار الإسلامي بشكليه المتعاون والرافض درا محوريا... وازدادت تأكدا مع بداية الحراك الشعبي العربي... **مما يعني قطيعة أفضت إلي بروز حالتين.**

\* حالة تعتمد المقاومة فكرا وممارسة بصيغة مستقلة ويمثلها الاتجاه الوطني القومي.  
\* حالة ثانية تتبني التصور الغربي وترتبط حركتها باتجاهات فعله دون احتساب أثر ذلك علي مستقبل الأمة يمثلها التيار الإسلامي (الأسلمة السياسية) بكل صنوفه... غير مترددة في الإعلان علي تحالفها العضوي مع الغرب المعادي...

انسداد مصطنعا تجاوزه يبقى في هذه المرحلة صعبا دون توضيحات.. مما يستوجب نقد



النقاش القائم منذ أحداث بيروت 1975- 1982 مرورا بحصار العراق واحتلاله 1990- 2003 وصولا إلي الحراك الشعبي العربي القائم حاليا والمسمي أميركيا - اسلامويا"الربيع العربي".

### - نقد النقاش العربي القائم

أثار اجتياح للعراق نقاشا متواصلا سواء في وسائل الإعلام السمعية البصرية أو المكتوبة أو حتى في النقشات العامة حول الأسباب الدافعة لهذا السلوك العدواني لعالم الحرب "وأمامه المتحضرة". فعوضا التوجه إلى تفنيد أسبابه المعلنة والتركيز على أسبابه الحقيقية ومناقشة سبل مواجهتها وبالتالي تحصين جبهة الدفاع على الوطن ومناهضة العدوان فنيا باتجاه الانتقال إلى ما هو عملي إذا ما تطلب الموقف. انسأقت الغالبية إلى مناقشة الأسباب المعلنة لعالم الحرب والنظر إليها بشكل حسابي " النفط وحجم الاحتياطي، أمن الكيان الصهيوني والتسلح العراقي، مسألة نقل التكنولوجيا المحظورة على منهم دون سن الرشد كما يقول الغرب " دون ربطها بالأداة المتحكمة والمسيرة لها أي النظام السياسي القائم وإستراتيجيته العامة مع وضعها في ظرفيتها التاريخية وذلك إما تحت تأثير الصدمة المفتعلة (وأقول مفتعلة بحكم اختلال موازين القوى في المواجهة التقليدية) أو نتيجة لرؤى شخصية ذات علاقة بالنظرة الشمولية للوطن ووضعها في السياق التاريخي الآني والمستقبلي وما تفرضه هذه الرؤى من حسابات الريح والخسارة بلغ حد اعتماد آراء بعض العملاء الذين تقدمهم وسائل الإعلام للاستشهاد على ما كان سائدا في العراق أو انخراط عديد الوسائل الإعلامية العربية في الترويج للإستراتيجية الأمريكية كقناتي الجزيرة والعربية. فجل النقاشات انطلقت ولازالت من وضعية قطر عربي يتعرض للاحتلال والتقسيم من خلال أولويات قطر أو أقطار بعيدة عن الاستهداف المباشر وإن هي مستهدفة بالنتيجة بحكم الانتماء الجغرافي والاقتصادي والحضاري... وبذلك ساعدت وتساعد سواء قبل أصحابها أم لم يقبلوا، تعمدوا ذلك أم لم يتعمدوا على خلق المزيد من المرتكزات المادية والمعنوية والنفسية للامبريالية والصهيونية وعمالها المحليين لتوسيع دائرة التآمر على الأمة والوطن ولا أعتقد أن أي منا لم يستوقفه المشروع الأمريكي ما أصطلح على تسميته" بالشرق الأوسط الكبير"... مما يعني تقديم النتيجة على السبب الذي لم يحسم أي الانحراف وخدمة توجهات الأجنبي ومصالحه على حساب الوطن ومصالحه، لكن لو وضع كل منا نفسه في

موقع القيادة العراقية بكل مكوناتها (الفكرية الإستراتيجية - التنظيمية - الهيكلية) بصيغة التبادل في الموقع مع محافظة كل منا على توجهاته الفكرية التحررية... ويتعرض لهجمة إمبريالية صهيونية تعتمد أدوات محلية وإقليمية وأخرى مباشرة، هل يستطيع الجمع بين الدفاع عن الوطن والديمقراطية والبناء؟ الجواب قطعاً لا... لأن ذلك ضرباً من المستحيل... إذ لا بد من تقديم التضحيات. فالذراع (القدرة) العملية لأي منا مهما كانت لا بد أن تنحاز لتطول وتبلغ غاياتها في جانب وتقتصر حتى تبدو كأنها غائبة في جانب ومرئية بقدر ما في الجانب الآخر من مثلث الأولويات طبقاً لما تفرضه هذه المواجهة من ساحات ومن تقديم وتأخير في درجة الأهمية المرحلية لكل منها رغم ترابطها وليس في ذلك ما ينقص من صدق الوطنية أو ما يجعل المرء خارج حركة التاريخ والتاريخ يؤكد ذلك سواء في التجارب الثورية التي إنبتت على العقيدة السماوية "موقف أبي بكر رضي الله عنه من الردة" وفي التجارب الثورية الاشتراكية "موقف لينين من الثورة المضادة" أو التجارب الليبرالية "الثورة الفرنسية - الحرب الأهلية الأمريكية". فكيف غابت هذه الأمثلة عن فكر منظرينا وإعلاميي قنواتنا وإنساقنا وراء الإعلام الغربي ذي الأهداف المصلحية التي لا تستثني قطر من أقطار الأمة في ظرفية تميزت باستكمال العراق لمقومات الوحدة الوطنية والاستقلال الاقتصادي، مقومات تجد تفسيرها في عدة إنجازات امتدت منذ بداية السبعينات وحتى بداية التسعينات متمثلة في :

\* تصفية شبكات التجسس الصهيوني- أنقلو- أمريكية ومركزاتها الاجتماعية والطائفية سنة 1970-1976/1978. والتي عادت على ظهور الدبابات الأمريكية تحت اسم أحزاب و"شخصيات معارضة وطنية" (حزب الدعوة، المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، الحزب الإسلامي..) سنة 2003 وشكلت ما يسمى بمجلس الحكم الانتقالي العميل.

\* إصلاح زراعي قطع مع بقايا الإقطاع الذي طبع النظام الاجتماعي الذي كان سائداً في العراق حتى بداية السبعينات والمركز على القبلية والذي يعمل الاحتلال على تكريسه واقعا منذ الأيام الأولى (مجالس العشائر والقبائل) وتركيب ما يسمى بالحكومة الانتقالية (علاوي-الباور/العلاوي/الجعفري وصولاً إلى المحاصصة المخابرتية ذات العمالة المزدوجة).

\* إرساء مؤسسات الحكم الذاتي بالمنطقة الكردية تطبيقاً لبيان آذار(مارس) 1970 وذلك سنة 1975 وتراجع الأحزاب الكردية عنه بدفع من شاه إيران آنذاك وما واكب ذلك من مواجهات وخسائر بشرية. نفس العصابات التي ركبت الدبابات الأمريكية والأداة الفاعلة محلياً فيما لحق العراق من تخريب حالياً بصيغة الاستقطاع أو التقسيم.

\* تأميم النفط كاملاً وظهور عديد المؤسسات الصناعية الوطنية في مختلف المجالات اعتماداً على كفاءات وطنية وما أفرزه من تنوع في دعائم الاقتصاد الوطني أبرز الحلقات المستهدفة منذ الاجتياح.

\* تجديد التعليم وتعدد مؤسساته بما يخدم حاجة المؤسسات الوطنية ويخلق الأرضية الملائمة للتطور التكنولوجي عنوان العصر...ثاني الهياكل التي استهدفها الاحتلال مباشرة تغيير مناهجها.

\* تأمين المجال الجغرافي الوطني في وجه الأعداء التقليديين الذي عبرت عنه الحرب العراقية الإيرانية وما أفضت إليه من امتلاك العراق لقوة عسكرية هامة.

\* العمل على خلق انفراج سياسي داخلي من خلال طرح مسودة دستور للنقاش يقطع مع حالة الشد التي فرضتها مرحلة البناء الهيكلي والتنظيمي للمجتمع العراقي بكل مكوناته العرقية والطائفية وللدولة الوطنية وذلك سنة 1989 - 1990.

مما يعني بداية ولادة قوة إقليمية أصبحت تستقطب اهتمام المواطن العربي كتجربة تعبر عن جزء من الطموح عند البعض وأغلبه عند البعض الآخر خاصة وأن هذه التجربة قرنت الأفعال المنجزة بدعم مادي ومعنوي للمقاومة الفلسطينية باعتبارها جزء من مهامها الأساسية دون الإملاء لتوجهاتها...إنجازات تستند إلى تصور شمولي لكل الوطن العربي وعلاقته بالأمم الأخرى اعتماداً على تصور فكري عربي قومي إنساني، مما يعني التناقض مع التصور الأمريكي من ناحية ومن ناحية أخرى خلق تحول في الموازين في منطقة حساسة ومعروفة بقيمتها الإستراتيجية فالأمريكيون كقوة خارجية وقوة في بداية التفرد

بالنفوذ العالمي يعتبرون المنطقة خطيرة في حساباتهم الإستراتيجية وذلك ليس لوجود دول نفطية ولكون الولايات المتحدة في حاجة للنفط ولا للحسابات الإستراتيجية العسكرية وإنما للعامل السياسي الفني والمتمثل في أن من يمتلك قدرة التأثير الجدي في منطقة الخليج سيؤثر على أوروبا واليابان المنطقتين اللتين تعدان الأساس في استمرار القوة الأمريكية في الخارج نتيجة التحالف معها... واستقلال النفط وقيام أوروبا واليابان بالتعامل مع العرب مباشرة لضمان النفط سيجعل النفوذ الأمريكي في أوروبا واليابان يتلاشى لذلك فالولايات المتحدة تعتبر مسألة ظهور أي تهديد لهذه الإستراتيجية شيئاً لا يمكن القبول به بأية صيغة كانت وخطورته استثنائية إلى الحد الذي يجعلها تتصرف بمرونة نسبية ما في مناطق أخرى من أجل مزيد إحكام قبضتها على الخليج. أما الأطراف المحلية الرسمية وفي ظل ارتباطاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية بمرحلة الوفاق وأمام عجزها المتأصل نتيجة طبيعة مكوناتها الهيكلية والتنظيمية عن فهم التحولات الجذرية والمتسارعة في العلاقات الدولية وما يرتبط بها من مشاريع فإنها وجدت نفسها إما منساقاً إلى الانخراط في الإستراتيجية الأمريكية وبالتالي مشاريعها بالنسبة لأغلبها أو مهادنة لها مستخدمة مبدأ المقايضة بالنسبة للبعض الآخر أو الحاملة بأن تلعب دوراً معوضاً للإسلام التبعية من خلال تقديم نفسها بمنطق الإسلام الرافض (إيران وغيرها من المنظمات الحاملة لتفكيرها أو تلك المتمردة على من أوجدها القاعدة...).

في حين أتت الأزمة عربياً في ظرفية كان فيها المجتمع العربي يعمل على الخروج من إطار قرون الهيمنة الخارجية التي سلبت أرضه وثروته وإرادته وحاولت طمس شخصيته وفي الوقت الذي سعى فيه للانتقال من التخلف بكل ما يعنيه من معايير كمية ونوعية اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً إلى الحضارة والالتقاء بعصر التكنولوجيا وفي الفترة التي بدأ فيها العرب تلمس الطرق الناجعة للتصدي للانقسام ومعالجة التجزئة كشرط لا بد منها لاسترجاع وضعهم الطبيعي وشخصيتهم الحضارية ضمن حركة التاريخ العام للإنسانية المتجهة نحو التحرر والحرية نحو الثورة التقنية الحديثة نحو مجتمع الأبعاد الكبيرة والتجمعات البشرية الهامة التي توفر أفضل الشروط لازدهار حياة الشعوب. ليصطدموا بأزمة مركبة تماماً كما في القرن التاسع عشر. أزمة يفرضها منطلق الواقع التاريخي الذي يحتم دوماً اصطدام عوامل النهضة بالعوامل المعرقة لها فتنشأ الحرب بين بناء السلام (العرب) وبين أعدائه (عالم الحرب). فالعرب ومنذ نهاية الحرب الثانية يناضلون من أجل حق طبيعي مشروع " حقهم في التحرر وتلمس سبل الوحدة" وبذلك لا

يعتدون على أحد ولكن أعداء نهضتهم الطامعين في أرضهم وفي نفطهم وثر وتهم والخائفون على مصالحهم من وحدتهم وتحررهم ومن تطلعهم للبناء يقفون في طريق النهضة مصممين على إبقاء الشعب العربي أسير العوامل التي سببت له الضياع قرون طويلة هدرت فيها طاقات كبرى لحساب الاستعمار والإمبريالية والصهيونية، فنضال العرب بمختلف فئاتهم في فترة ما بعد الحرب الثانية نضال (اقتصادي - ثقافي - اجتماعي) ينطوي على كثافة حضارية. أي نهضة لا ردة كما يحلو للبعض تصويرها اعتمادا على الإحصاء المجرد (تقارير الأمم المتحدة للتنمية) دون الأخذ بما هو كامن في عقلية وفعل المواطن العربي، نهضة ميزته على أعدائه أعداء التطور الحضاري في المرحلة الراهنة: الإمبريالية والصهيونية والعملاء المحليين\* الذين يحاربون من أجل هدم الجهود التي بذلها العرب لبناء السلام. **أزمة ابتدأت في بيروت بضرب النقاش الديمقراطي التحرري بين 1975 - 1982 لتخلق حالات طائفية مهما كان لون الحزام الذي تتمنطق به في استخداماتها حاليا وتمتد إلى بغداد 1990 - 2003 لخنق هذا المولود العلمي العلماني وتعمل على الخلق والتأسيس لحالات طائفية وعرقية أكثر بغضا وقاتمة... تماما كما حصل في القرن 19 أي هدم بوادر النهضة، هدم مثلته الحرب العدوانية الأنقلى- أمريكية - الصهيونية- الإيرانية على العراق واحتلاله حرب أحالت النظام العربي عند اندلاعها سنة 1990 على غرفة الإنعاش وفي مارس 2003 إلى الغيبوبة السريرية. حرب تعبر عن رواسب المراحل التاريخية الماضية للبشرية عندما كانت المجتمعات خاضعة لاستغلال الطبقات والقوى المستبدة والأنظمة الرجعية في غفلة عن وعي الجماهير وعن تطور الإنسان مهما حاولت أجهزة عالم الحرب الأنقلى أمريكي الصهيوني الإعلامية والدبلوماسية السياسية تقديمه على كونها حربا من أجل السلام رغم كونها حرب مصالح قومية كغيرها من الحروب الماضية التي عرفها التاريخ البشري الحديث وإذا كانت الثورات تاريخيا هي الجواب العادل على هذه الحروب سواء في آسيا أو إفريقيا أو أمريكا اللاتينية **فالمقاومة العراقية هي الجواب العادل والمنطقي** على هذا العدوان رغم التعتيم الإعلامي المقصود والمفروض عليها من قبل عالم الحرب تحت لافتة السلم العالمي ومحاربة الإرهاب وحق الشعوب في العيش بكرامة حسب الطريقة الأمريكية... **مقاومة كان لها الفضل الأساس من خلال صمودها في تجنب المنطقة "إستراتيجية الصدمة والترويع الأمريكية" وإسقاط مشروع القرن الأمريكي بما كشفتته من عورات عسكرية اقتصادية وأخلاقية لهذه القوة****

جعلها تعيش حالة حصار معنوي دفعها إلي تحريك رصيدها النهائي مع اندلاع الحراك الشعبي العربي بهدف تحويله بما يخدم اتجاهاتها الإستراتيجية...محولة إياه وبعتماد ما أهلته من أدوات محلية (الأسلمة السياسية كتلك المستخدمة في بيروت وبغداد) من حراك بصيغة نقاش شعبي رافض للاستبداد والتبعية يهدف الكرامة والحرية والاستقلال إلي حراك متمم لما تم ضربه من نقاش تحرري ديمقراطي في كل من لبنان والعراق قصد تعميم حالة التشضي داخل الساحة العربية والارتداد بها إلي ما قبل صيغة الدولة الوطنية في شكلها القطري (المرفوضة قوميا)... مما يجعل من المشروع القومي هو الجواب المنطقي علي هكذا حالة ارتداد...

شبكة البصرة

الخميس 10 ربيع الاول 1433 / 2 شباط 2012

(الحلقة الثانية)

في العودة للأصل بعقلية المرحلة تكمن الحلول

يوغرطة السميري - تونس - المهديّة

"إن الفكر يغني نفسه ويتطور مع تلك الصلة الحية والدائمة مع الواقع كما يجسده ويتفاعل معه التنظيم والحزب فالإنسان إذن ليس بحاجة ليطلع على كل ما هو تفصيلي وشامل ليغدو مؤمنا وإنما حسبه إن يطلع على اللبنة الأولى أو على ما يتضمنه خط البداية من أفكار ليأخذ الإيمان مجراه إن الإيمان يسبق المعرفة بل هو الدافع إليها إذن فإن خط البداية أو الينبوع الأول لمجرى الإيمان الذي يفضي إلى الهداية هو النموذج وهكذا تبدأ الحياة بخط البداية صحيح وبنموذج صادق ومؤمن ومضحى ومن ثم الشجاعة فالشجاعة عند الأنبياء مصدرها الإيمان وعلى هذا الأساس من إشعاع هذا النموذج كانت المجتمعات المؤمنة تتكون".  
- صدام حسين. المرجع: نشرة قومية صادرة في كانون الثاني يناير 1993-

أشر الحراك الشعبي العربي بما لا يدع مجالا للشك نهاية عصر النخب المسيطرة والمهيمنة والمتحكمة في مصير الشعوب.. فانتشار التعليم وتعميم الثقافة وسرعة انسياب الأفكار والقيم بالاعتماد علي التطور التكنولوجي والمعلوماتية من جانب ومن جانب ثاني

العولمة الاقتصادية وما أفرزته من ثقافة بكل سلبياتها... حول المجتمعات إلي مراكز استقبال وانفتاح علي العالم الخارجي من ناحية ومن ناحية أخرى إلي مجتمعات مدركة وواعية لذاتها ولدورها مما يعني انهيار جدار الكبت الداخلي سواء عند الفرد أو داخل المجموعات المنظمة سواء في شكل منظمات أو هياكل رسمية... مما أفقد الدولة التقليدية بمختلف مكوناتها (الفرد/الحزب الواحد/العائلة/النخبة) مقوماتها الشرعية/المعنوية في الاستمرار كسلطة (قيادة/تنظيم المجتمع/توزيع الخدمات)..دولة هي نتاج الثورة علي الاستعمار المباشر عجزت في الملا أمة بين التصدي للقيادة ونشر وتعميق ثقافة البناء مما جعلها محل رفض بلغ مستوي الاستهداف المباشر لها كحالة منظمة في نظر البعض... بصيغتين أحدها بوادر الفوضى الغرائزية عند الفئات المهمشة وهي الأكثر اتساعا في المجتمع في حين كانت الثانية بصيغة النظرة التي تعدها كمؤسسة ينحصر دورها في تهيئة المجتمع لتنظيم نفسه وإشراكه في عملية صنع السياسة وقيادة الدولة والمؤسسات... تصور/رؤية.. وإن كانت مرفوضة في جانبها الغرائزي إلا أنها نتاج طبيعي باعتبار ما كان العربي قد عايشه في ظل طبيعة الدولة التقليدية وما أفضت إليه من نظام سياسي يعتمد النخبة المغلقة علي ذاتها والغير المنفتحة علي المجتمع لا فحسب بل حتى علي الحزب الذي أفرزها ومن خلاله مارست سياسة التزوير والتهميش والإقصاء وقمع المعارضة الفكرية والسياسية مما جعلها فاقدة لكل الشرعية ومخلفة رفضا للنظام مقترنا بعدم ثقة عبر عن نفسه في إصرار الشارع/ المجتمع علي إسقاط النظم بالكامل واجتثاث دعائمها الهيكلية وفي ظل غياب ثقافة تعي مشاكل المجتمع وتضع الحلول لها بعد أن كانت الدولة القطرية قد استهلكت كل الشعارات ذات العلاقة باستكمال مرحلة التحرر بفعل تراجع مقترن ب فشل رهانها علي التنمية... مما يعني دخول المجتمع العربي مرحلة جديدة من مراحل التطور الفكري والسياسي بشكل أزمة فكرية وسياسية... دخول لا يمكن أن يفهم بمعزل عما هو قائم بداخل المجتمع بصيغة النظرة المستقلة للأمة العربية رؤية وفعلا ميدانيا من جانب ومن الجانب الآخر ما هو قائم بداخله بصيغة النظرة العابرة لحدود الأمة وغير منعزلة ارتباطا سواء رؤية وفعلا ميدانيا عن حالات خارجية باننة ومكشوفة نشأة وتطورا... مما يفرض إعادة التأسيس للمشروع القومي في حاضره ومستقبله من خلال رؤية نقدية بصيغة الأداة الفاتحة للتطور لا علي أساس بتر التجارب السابقة وإلغائها... بل بما يخلق ثقافة جديدة تؤكد أحييته التاريخية في قيادة المرحلة...وليس بمنطق النقد الخالق

لمقاييس جديدة للتجميد... وإعادة إنتاج واقع متخلف انتفض المجتمع بالضد منه... كما تؤشره تجليات الحراك الشعبي في نتائجه الأولية...

### - المشروع القومي من الثورة علي الاستعمار المباشر إلي الثورة علي التخلف:

إن النتائج الأولية للحراك الشعبي العربي عند انطلاقته أكدت بما لا يدع مجالاً للشك من أن الشعور القومي حقيقة حية ثابتة ومتجددة كلما توفرت له اللحظة التاريخية المعبرة علي إعادة صياغة نفسه بما يكشف عن الصورة الحقيقية للعربي ويجعل من ثقافة المقاومة الثقافة السائدة بكل ما تعنيه من اقتحامية ثقافة تجعل من العربي حالة منتمية للعصر بكل ما يعنيه في تفاصيله (بناءً واستقلالاً... كما صاغت الشعارات المرفوعة) حقيقة يصعب القفز من فوقها في كونها أسقطت الصورة النمطية التي تحاول القوي المستهدفة والمعادية لطموح الأمة تعميمها... لذلك لم تتردد هذه القوي في تحريك رصيدها القديم بشكله الرسمي مالا وإعلاماً ومن احتضنتهم تدريجياً وتأهلاً علي الانخراط في الحراك وحرف اتجاهاته بصيغة الارتداد الغرائزي المغلف بما هو عصري تحت لافتة ذات الشعار... في جانب من جوانبه وفي الجانب الآخر الدفع بثقافة تناقض المطلق بصيغة اللونين (أبيض.. / أسود) اعتماداً علي المقدس في شكل سطحي منفر ومناقض للعقل في وسط اجتماعي يتلمس الخروج من التخلف بكل معايير.. مما يعني إضافة عوائق جديدة لما كان قائماً الهدف زيادة تعميق الظلام من خلال إنتاج عوامل كبت جديدة إلي جانب التي كانت سبباً من أسباب الحراك الشعبي العربي لتتحرف به إلي مستوى الردة مثبتة بذلك إن ما يجري لم يكن ثورة، رغم نوايا ملايين الناس الذين ضحوا من أجل ثورة كان يجب إن تحدث لكنها اغتيلت وهي في المهد وحلت محلها رداً مقبلة خطيرة، تفرض علي كل وطني وقومي عربي الآن إن يحذر من \* كارثة الأنا \* التي يعبر عنها بالعناد الطفولي ورفض قبول الوقائع وإنكارها ومواصلة الادعاء بنفس المنطق السابق الذي قاد الأمة إلي مأزق خطير هو مأزق خطأ فهم ما يجري... لماذا نقول ذلك؟ لعدة حقائق مادية برزت منذ نهاية حرب أكتوبر 1973 بصيغة الانحراف حد الخنادق المتقابلة جعلت من فهم المتغيرات السياسية متصادمة بصيغة الأنا... ومنعكسة ثقافة متدنية علي المجتمع لا تقرأ المستجدات إلا بصيغة الصفحة الواحدة لا غير... بلغت حد التحالف إما بصيغة المشارك مادياً أو إعلامياً أو بالرأي المكتوب في الاعتداء علي قطر كان بكل المقاييس حالة متقدمة للدولة القطرية العاملة مثلاً استباقياً



سياسة واقتصادا واجتماعا وثقافة بما يفرضه تصورها ورؤيتها للواقع القومي في ظل متغيرات سياسية متنامية كما حصل في حرب الثماني سنوات ضد العراق "حرب الخليج الأولي" كما يودون تسميتها تهربا من تبعات المساءلة عن الذي تسبب فيها بما فتح فجوة في التصور عند البعض منهم تسلل من خلالها هكذا خطاب رغم أن العراق أطرها رؤية وتحليلا في سياقها النظري والمادي من كونها حالة تستهدف الأمة عامة بما يحولها عن أهدافها الرئيسية ويجعلها عرضة للاختراق بصيغة التمدد الاستراتيجي للآخر علي حسابها... لا هذا فحسب بل تبني خطاب الشيطنة وترويجه بصيغة المبرر لتدميره ومن ثم لاحتلاله ومحاصرة مقاومته التي لوت رأس الأفعى الأمريكية وجعلتها تعلق خيبات تصوراتها الإستراتيجية في جعل القرن الواحد والعشرين قرنا أمريكيا... منفردة وبإمكاناتها الذاتية اعتمادا علي الرصيد التربوي والأخلاقي الوطني والقومي والإنساني الذي أسس له النظام الوطني طيلة حكمه... لا هذا فحسب بل ذات الأصوات ولتبرير رؤيتها لم تتردد في الاستعجال بالتصريح من أن المشروع القومي قد قبر ومن أن المرحلة تخضع لما هو أبعد من حدود الأمة العربية الجغرافية... في إسقاط فكري مبتدل عبر عنه الفكر السياسي للأسلمة السياسية من ناحية ومن ناحية أخرى الأحزاب الشيوعية "العربية" والأحزاب القطرية... يعبر عن رد فعل الأنا المأزومة بحكم تدنيها تصورا وأداة وفعل ميداني... خاصة بعد وقوع العراق في قبضة الاحتلال الامبريالي الأمريكي، مستخدما سقوط التجربة السوفيتية كدليل على فشل الفكرة الشيوعية في انسجام تام والرؤية الامبريالية القائلة بنهاية عصر الايدولوجيا... إسقاط مبتدل لرؤية منحرفة تنطلق من افتراض خاطئ علي حالتين مختلفتين ومتباينتين واقعا وتصورا، فسقوط التجربة السوفيتية جاء لأسباب داخلية من بينها التعاطي الفكري بافتراضات عقائدية ثابتة لم تراعي جملة التحولات المادية والمعنوية لواقع اكتمل بناؤه بصيغة القوة العظمي يفرض القطع مع حالة الشد والتأزم.. بينما احتلال العراق وتدمير تجربته الوطنية القومية لم يكن بسبب فشل الفكر القومي العربي الذي كان يقود ويوجه تجربة العراق، بل بسبب تجاوزه مختلف العقبات التي ورتتها التجربة بحلول وطنية ذات بعد قومي إنساني ونجاحاته المتلاحقة في مختلف الميادين ذات الصلة بتصنيفه كقطر يعيش تجليات العصر بمختلف متطلباته المؤشرة علي الصعود والإقلاع في منطقة معروفة بأهميتها الاستثنائية... نجاحات أفزعت القوي المعادية تاريخا جعلها تستبدل صيغة الاعتراض علي هذه التجربة من التدخل بالنيابة... إلي التدخل المباشر مغلبة العدوان

العسكري بعد أن فشلت كل محاولاتها الأخرى مما يعني أن احتلال العراق لم يكن نتيجة لفشل تجربته العربية، بل لنجاحها... التجربة التي مثلت مرحلة متقدمة في المواجهة بين المشروع القومي بصيغة الدولة في ثورته علي الاستعمار المباشر... ليدخل المشروع القومي مرحلة الثورة علي التخلف بصيغة صراع إرادات رغم ما حققه الفكر العربي من نجاح في ساحات المواجهة بالصد مما طرحه التخلف من تحديات خلال الثلث الأخير من القرن العشرين... رغم ما عرفته العشرية الأخيرة منه من تحول جذري مثله سقوط التجربة السوفياتية وانتظام تحالف امبريالي - اسلاموي مكشوف في عدائه للنضال القومي العربي... عبر عن نفسه فعلا وخطابا ميدانيا داخل الحراك الشعبي العربي بصيغتيه العسكرية في ساحات وصناديق الاقتراع المرفوقة بالمال السياسي والتهديد الأمني في ساحات أخرى من ساحات الوطن العربي مهددا الأمة بالعودة قرونا إلي الوراء فكريا وماديا واجتماعيا... تهديد يفرض العودة للأصل بعقلية المرحلة.

### - في العودة للأصل بعقلية المرحلة تكمن الحلول:

"دعوة مخلصه للتواضع والتراجع عن مواقف خاطئة قبل فوات الأوان، فانتصار الأمة العربية ما زال ممكنا وهزيمة أمريكا أيضا ممكنة، الم تهزم المقاومة العراقية أمريكا؟ إذن علينا جميعا إن نعيد النظر في المواقف كي نصل لأرضية مشتركة تقوم على الفهم الصحيح كي نرد بصورة صحيحة أيضا "... وأوكدها :

- **الموقف من الوحدة العربية** بصيغة الإيمان لا بصيغة الشعار المتبني برؤية الفورة الآنية تحت طائلة الاستجابة لما يختزنه المجتمع وعبر عنه بشكل طلقائي تحت ضغط الحاجة وبما يجعل صوتي مسموعا من قبله... فالوحدة تمثل هدف استراتيجي في نضال القوميين بدون تحقيقها كمشروع سواء جهويا.. إقليميا.. قوميا سيستمر العرب في تخلفهم الاقتصادي والاجتماعي وغير آمنين في وجودهم القومي والحضاري في ضل التحديات المعاصرة التي حكمتها الثنائية القطبية سابقا والتي تمثلها القوي والكتل السياسية والاقتصادية حاليا الساعية إلي السيطرة وإعادة بناء النظام الدولي بما يحقق مصالحها علي حساب الأمم الأخرى وخاصة الأمة العربية. بناء علي ذلك ترتبط نهضة وتطور الأمة بتحقيق وحدتها القومية... فالوحدة هي التي تمكن العرب من تجاوز الفقر ومقاومة العجز النفسي والمادي وتربطهم روحيا بماضيهم كما تمدهم بعناصر القوة والقدرة علي مواجهة الطامعين في

ثروتهم من هنا تعد الوحدة ضرورة إستراتيجية وتحتل بذلك أولوية سياسية تتقدم باقي الأهداف القومية الأخرى سواء علي مستوي الحكومات أو الشعب العربي إذ بدون إنجازها سنبقى غير آمنين في وجودنا القومي والحضاري والإنساني فاقدين لاستقلالنا وحرابتنا وكرامتنا أمام حجم التحديات الآنية والمستقبلية التي تفرضها القوي الامبريالية في العالم. لذلك نري تنمية الشعور القومي الذي تراجع في ظل التخريب الداخلي المستند إلي عوامل خارجية وخليط من الأدوات المحلية غير المسؤولة عامل هام من عوامل الإحباط والعرقلة بصيغتين الهروب إلي النظرة الأممية بشكليها الفكري سواء المبني علي العقيدة الدينية التي تنطلق من مفهوم إيمان روعي جامع لتجعل منه ما هو سياسي واقعي مادي أو تلك التي تتجاوز ما هو أولي إنساني إلي ما هو إنساني أممي من ناحية ومن ناحية أخرى النظرة القطرية المرتبطة بالخصوصية المحلية ملغية للخصوصية الجامعة... اتجاهات تفكير يسفها الشعور القومي الايجابي والجددي والمسؤول حتى في حدوده الدنيا بما ينشئه من صحوة قومية بإمكانها أن تهز أعماق الأمة والشواهد عديدة علي ذلك لعل \*الحراك الشعبي العربي ومنذ انطلاقة الأولي من تونس وتفاعلاته تعبيراً حياً علي ذلك\* بما يؤشر من أن المجتمع العربي يعمل على الخروج من إطار قرون الهيمنة الخارجية التي سلبت أرضه وثروته وإرادته وحاولت طمس شخصيته وبما يؤكد سعيه للانتقال من التخلف بكل ما يعنيه من معايير كمية ونوعية اقتصادية واجتماعيا وثقافيا إلي الحضارة والالتقاء بعصر التكنولوجيا ويكشف من أن العرب بعد فشل الأنظمة القطرية دخلوا كشعب وجماهير فعلا مرحلة تلمس الطرق الناجعة للتصدي للانقسام ومعالجة التجزئة كشرط لا بد منها لاسترجاع وضعهم الطبيعي وشخصيتهم الحضارية ضمن حركة التاريخ العام للإنسانية المتجهة نحو التحرر والحرية نحو الثورة التقنية الحديثة نحو مجتمع الأبعاد الكبيرة والتجمعات البشرية الهامة التي توفر أفضل الشروط لازدهار حياة الشعوب... بغض النظر عما نشاهده من تداخل ملامحه صيغة ارتداد إلي الخلف.. ارتداد مفعول واستباقي... بحكم تقابل في الرؤي وأهمية الاستقطاب الخارجي الذي هو ناتج تراكم غرائزي يحكمه رد الفعل ولكنه غير منعزل عما هو روعي قائم وثابت... لذلك فالوحدة العربية في منظورنا ليست قوة مادية فحسب بقدر ما هي قوة روحية مرهونة بانبعاث روعي لدي أجيال الأمة كما يؤكد الأستاذ ميشال عفلق : **".. تتحقق الوحدة العربية عندما يشعر العرب أنهم لم يوجدوا عبثا في هذه الحياة ولم يوجدوا ليعيشوا علي فضلات الآخرين وليكونوا عبيدا للآخرين ولم**

يوجدوا جماعات متناحرة تتنافس علي المادة والنفع الحقيق وإنما وجدوا ليعطوا ما في نفوسهم وعقولهم وليعبروا أكمل تعبير علي إنسانيتهم ويرتفعوا إلي فوق النظرة التي تؤمن بالقيم والخلود ويرتفعوا إلي مستوي روعي يصهر نفوسهم من جديد وينسيهم خلافاتهم ويبدل ضعفهم إلي قوة وليشعروا بأن عليهم مسؤولية جدية تامة..." مما يعني أن الوحدة هي إدراك للذات والواقع وللرسالة الإنسانية الخالدة وبالتالي فالوحدة السياسية هي نتيجة عملية وعلمية للوحدة القومية عندما يشعر العرب بأنهم أمة واحدة ولهم رسالة وأن عليهم مسؤولية تحرير أنفسهم ليرتفعوا إلي مستوي رسالتهم الإنسانية وعليه فالوحدة العربية مهما كان شكلها بين قطرين وأكثر جهوية وإقليمية مكسب تاريخي لأبناء الأمة يفرض تعزيزها وحمايتها والدفاع عنها ضد القوي السياسية المعادية سواء داخلها أو خارجيا...

**- الموقف من الحرية والديمقراطية** إذ ليس المهم أن يتساوى الناس في توزيع الطعام بقدر إتاحة الفرصة لكل فرد لإطلاق مواهبه وقواه.. والتعبير عن ذاتيته وإنسانيته\* الحرية في مفهوم الفكر العربي هي احترام إنسانية الإنسان أولا وتوفير الشروط اللازمة له للتعبير عن نفسه وقدراته ومواهبه ثانيا. لذلك الحرية في الفكر العربي الذي يبنى عليه المشروع القومي أوسع وأشمل وأعمق من الديمقراطية فالديمقراطية في نظرنا هي الجانب التطبيقي لروح الحرية لذا يري البعض أنّ الاستعمار هو انتهاك لحرية الإنسان والأمم والشعوب\* الاستغلال طعن في حرية الإنسان وكرامته\* التجزئة طعن في حرية الإنسان وحقه في وطنه\* التسلط والأبوية في العمل السياسي تنكر للحرية والاستقلالية\* وهي كلها مظاهر وسلوكيات سلبية وآليات سياسية لتعطيل حرية الإنسان ولدوره الفاعل والايجابي تجاه نفسه وشعبه وأمته والإنسانية وبالتالي فالحرية هي تحرير الإرادة الشعبية للأمة من التسلط والوصاية السياسية لمجموعة أو أقلية أو نظام سياسي علي المجموعة الوطنية كما أن الحرية تعني الاختيار السياسي للأفراد بشكل لا يتناقض ووحدة الأمة ومنظومتها القيمة ومصالحها أما الديمقراطية فقد أكد الفكر العربي ومنذ تأسيسه بصيغة الفعل الميداني علي ممارستها في الحياة السياسية سواء علي صعيد الأداة التنظيمية داخلها أو علي صعيد المجتمع وقد أكد وبالنص علي\* السيادة هي ملك الشعب والشعب وحده مصدر كل سلطة وقيادة وأن قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها من إرادة الجماهير\* ومن أن نظام الحكم في الدولة العربية المنشودة هو نظام برلماني نيابي دستوري تكون فيه السلطة التنفيذية مسؤولة

أمام السلطة التشريعية التي ينتخبها الشعب مباشرة. بناء علي هكذا تقديم الديمقراطية أداة تعزيز لقيم الحرية والإنسانية وهي بالنسبة للطلائع الوجودية الأداة السليمة التي تمكن من تحقيق الوحدة العربية بحكم أنها تمنحها الفرصة للتعريف بإيديولوجيتها وتفسح أمامها النضال الجماهيري العلني والمشاركة في الانتخابات والتمثيل السياسي الذي يمكنها من الدفاع عن مشاريع الوحدة والاقتراب من انجاز جزء من برامجها وأهدافها بالنتيجة النضال من أجل الحرية والديمقراطية هو نضال من أجل الوحدة.

**- الموقف من العدالة الاجتماعية - الاشتراكية -** منذ التجليات الفكرية الأولى للفكر العربي وبالرغم من الانفتاح الفكري علي الآخر واعتباره الفكر الإنساني ملكية جماعية للإنسانية رفض المشروع القومي فكرا ونظرة فكرة الشيوعية وإفرازها الاقتصادي والاجتماعي ممثلا في الاشتراكية لعدة اعتبارات منهجية وعلمية فهي نتاج فكري لخصوصية غربية لا يمكن نقلها وتبنيها في بيئة عربية إسلامية تختلف في تكوينها التاريخي والحضاري والروحي عن المجتمعات الغربية المثقلة بهيمنة الكنيسة مما جعلها (الشيوعية والاشتراكية) ذات نزعة علمانية معادية للدين.. وبالتالي فهي تعالج قضايا ذات علاقة بالمجتمعات الغربية رغم تقاطعها في بعض مفاصلها التحليلية مع ما يعاينه المجتمع العربي مجتمعات غربية هي نتاج الثورة الصناعية والحركات القومية المتعصبة والتمايز الطبقي والتوسع الاستعماري والصراع القومي.. من هنا اعتبر المشروع القومي نقل المفاهيم الغربية الشيوعية والاشتراكية حرف لنضال العرب في معالجة قضاياهم الجوهرية إذ تهدم هذه المفاهيم الشعور القومي لأمة لم تتكون قوميتها بعد وفي وقت لم يتحرر فيه العرب بعد من الظاهرة الاستعمارية. مفاهيم ليست مجرد نظام اقتصادي بل عبارة عن رسالة مادية أممية تنفي حقيقة القوميات وتتنكر لعقائدها الدينية والروحية وفي مقدمتها رسالة الأمة العربية. مفاهيم قامت في الغرب علي معاداة الدين ومحاربتة ولها ما يبرر موقفها السياسي باعتبار أن مؤسسات الدين (الكنيسة) قد وقفت في صف الاستغلال (الحكومات) ولأن الرأسمالية والإمبريالية قد وظفتها أيضا في خدمة مصالحها.. **في حين الدين عند العرب لم يزل علي نقاوته وعلي أهدافه التحررية والإنسانية فهو مصدر أمل الجماهير الكادحة في التحرر والنهضة وتحقيق تطلعاتها الوطنية والقومية الإنسانية المشروعة.** العرب أمة تاريخية بفعلها الحضاري وعظيمة برسالتها الإنسانية المتمثلة في التوحيد الإيماني والتحرر

الإنساني.. ليست أمة صغيرة وثانوية بفعلها التاريخي حتي تسير في ركاب أمم أخرى لذا أن يتبنى العرب الاشتراكية الماركسية لنظام أممي يتجاوز السياسة والاقتصاد إلي الأخلاق والدين ونواحي الحياة الأخرى.. يشوه الاشتراكية الصحيحة التي يحتاجها العرب والمستمدة من روحهم ومن حاجات مجتمعهم.. **اشتراكية تؤسس لإقامة تنظيم اقتصادي عقلاي يلغي الاستغلال والتميز الطبقي والاجتماعي.. يحفز علي الإنتاج والإبداع يقدر العمل ويعمل علي تحرير الثروة القومية من الاستغلال الأجنبي وإقامة العدل بين أبناء الأمة.** فالاشتراكية التي يدعو المشروع القومي إليها هي الاشتراكية التي تراعي الشروط الخاصة للعرب كأمة لا تلك التي تعمل علي إحلال المادة مكان الروح والإلحاد مكان الإيمان.. اشتراكية عنوانها أن يشترك جميع مواطني الأمة العربية في ثروة وطنهم العربي لغرض تحسين حياتهم وتحسين حياة أمتهم.. وانطلاقا من هذا المفهوم يري المشروع القومي فكريا أن الاشتراكية مرادفة للقومية.. فالقوميون العرب هم اشتراكيون لأنهم يدركون أن الاشتراكية هي الطريق الصحيح لتحقيق نهضتهم ووحدهم ومن أن النضال القومي يستوجب النضال الاشتراكي حتي تؤمن الجماهير أن وحدتها القومية ستضمن لها العدالة والمساواة والعيش الكريم لذا فالنضال من أجل الوحدة هو في ذات الوقت نضال في سبيل تحقيق العدالة الاجتماعية للقضاء علي الاستغلال الطبقي والاجتماعي وعلي الفئات المستغلة للقومية...

من هكذا رؤية إذا كان على الحركة الثقافية العربية أن تكون صادقة في سعيها للدفاع عن قضايا المجتمع العربي وقضايا الأمة العربية يستوجب عليها الانطلاق بصيغة المرحلة مع التبنّي النهائي لثقافة المقاومة التي أشرها ميدانيا بصيغة الانتصار المشروع القومي في العراق ممثلا في مقاومته الفريدة رغم الحصار والمعاداة التي مثلها المركب الامبريالي الصهيوني - الاسلاموي بطرفيه (ولاية الفقيه/ الأسلمة العثمانية الجديدة) في صيغة تحالف متشابك الرؤى والمصالح... والذي يمثل أبرز التحديات التي تواجه المشروع القومي في هذه المرحلة.

16/02/2012

شبكة البصرة

الخميس 24 ربيع الاول 1433 / 16 شباط 2012

**المشروع القومي العربي حقيقة حية فاعلة  
من أجل ثقافة عربية معاصرة تقطع مع "المناكفة"  
وتؤسس لمفهوم جديد لمواجهة التحديات  
"الحلقة الثالثة"**

شبكة البصرة

يوغرطة السمييري - تونس

**التحدي الامبريالي الصهيوني - اسلاموي بطرفيه (ولاية الفقيه X السلفية الأصولية).. ماذا؟  
والي أين؟**

في عالم متحرك نحو إعادة صياغة نفسه بصيغة نظام بديل للنظام العالمي الذي ساد ما بعد الحرب العالمية الثانية.. بعدما أرغمت المقاومة العراقية الباسلة الولايات المتحدة علي التخلي عن سياسة نظام القطب الواحد إلي سياسة القوة المتنفذة في نظام متعدد الأقطاب... نري كل الأمم تعمل بما يضمن لها التفوق بأشكال متعددة منها الولايات المتحدة و من هو منخرط في إستراتيجيتها علي أن لا تفوت الفرصة علي نفسها بصيغة الاستحواذ علي أكبر مساحة قابلة لفعالها و خاصة (صرة العالم/الوطن العربي) بمفهوم عودة الاستعمار تحت شعار الحداثة و الاعتدال مؤشراتته بأئنة في اتجاهات الحراك الشعبي العربي (الربيع العربي) بصيغ متعددة منها ما يمكن مقارنته بما وظفته لاحتلال العراق أو

إبقاء الاحتلال و منها ما يتخذ صيغة الفعل بالنيابة... لذلك لا يجب أن يتوقف القوميون و كل وطني صادق عند "ويل للمصلين..." أي عند النقاش بصيغة الرؤية والرؤية المقابلة و إنما علينا صياغة و تفعيل ما هو مضاد... و ما هو مضاد ليس في الوقوف عند ما يقوم به الآخر قصد إيذائنا و إنما كيف يمكن أن نجعله غير قادر علي توسيع دائرة المتبئين لفعله... و ذلك من خلال قراءة بمنطق الرؤية تنضح عنها جملة أفعال و سلوكيات...تستهدف إبراز جانبنا القادر علي استيعاب من يخرج من دائرة فعلهم...نشجع من ينتقدهم و لو بالكلمة و إن اختلفنا في الحلول التي تبقي قابلة للنقاش...نفتح الباب لمن يود العودة إلي حزن الوطن و الأمة. حتى في الحدود الدنيا...فشعار المرحلة " نحن في حاجة لجهود الرضيع إذا كان قادرا علي تقديم الإضافة للفعل المحصن للأمة و الوطن بصيغتيه القطرية و القومية "...و نرفض الفعل المنحرف مهما كان مصدره...لا بصيغة الخندق الواحد المنغلق علي نفسه و المنزه عن الوقوع في الخطأ و إنما بصيغة خندق الأمة العربية الواحدة التي يقبل أبنائها بالفعل المشترك علي قدم المساواة دون تنصيب هذا الطرف أو ذاك الطرف لنفسه في مقام الموزع لشهادت الاستحسان النضالي أو شهادت التخوين أو التكفير...إلا بما يسمح به المستخلص كقراءة ناضحة عن تصور هذا الطرف أو ذاك أو ما هو ناتج من الفعل المادي البائن و المؤشر في الفعل الميداني... فالقومي الصادق الانتماء يري وجوده من وجود الأمة العربية...أي الوجود المنسجم مع طموحاتها التي هي طموحات جماهيرها العريضة...و انسجامه مع من هو معه من أبناء الأمة في الهيكل الحزبي ما هو إلا انسجام ترتيبى فاعل...لا يقلص و لا يعوض الانسجام النضالي مع جماهير الأمة التي تبقي في نظره الأساس بحكم كونها الأداة و الهدف من وجوده كقومي عامة و للهيكل الذي ينتمي إليه كفكر و حركة تاريخية خاصة...و لكون الفكر العربي عبر عن نفسه في صيغة حركة تاريخية سواء بصيغة الفكر أو الرؤية أو الهيكل التنظيمي حالة مكشوفة و متبناة من عديد الأفراد و التيارات لم يكن بمعزل عن التوظيف بصيغة العداء من قبل جهات متباينة في أهدافها و متفقة في عدائها للأمة العربية و البعث خاصة بحكم كونه الحركة الأكثر تجسيد للفكر العربي نظريا و تطبيقا ميدانيا بصيغة الهيكل التنظيمي أو بصيغة الدولة كما عبرت عنه التجربة العراقية المغدورة عربيا و المستهدفة امبرياليا.. منها ما منشؤها الساحة العربية بصيغة تقابل في الرؤى الفكرية و الحلول و منها ما هي أدوات مبرمجة و مؤطرة من جهات غير عربية بصيغة الطابور المعادي...ارتقت إلي مستوي التحالف



العضوي المركب و هو التحالف الامبريالي الصهيوني - الاسلامي بطرفيه (ولاية الفقيه/السلفية الأصولية السياسية) همها الأساس في هذه المحطة من تاريخ الأمة العربية استهداف و اجتثاث \*\* القوميين والفكر العربي و كل ما هو وطني مستقل كأشخاص و كمؤسسات أو رؤية فكرية \*\*. فما هي طبيعة هذا العداء؟ و ما هي مكونات هذا التحالف؟ و إلي ماذا يهدف؟ و كيف يجب الرد عليه؟

### - طبيعة العداء... نقد المرتكزات الفكرية للتيارات المتأسلمة.

مثلت مختلف التيارات امتدادا طبيعيا لحركة النهضة العربية الحديثة و إن كان التقابل بينها محدودا إن لم يكن منعدما في فترة الاستعمار المباشر لما مثله من قوة ضغط تستهدفها كلها إلا أن بوادر ضعف القوي الاستعمارية و ما سجلته من تراجعات بصيغة الحضور المباشر العسكري و الأمني مع الأزمة الاقتصادية العالمية للثلاثينيات من القرن الماضي و سباق التسليح و الحرب الثانية أشر بدايات الافتراق الأفقي و العمودي بين مكونات هذه التيارات افتراق حول مفهوم السلطة التي ستحل محل المستعمر عامة و مفهوم التجديد الحضاري خاصة... النتيجة صراع علني مثل عائق أمام استكمال بناء الدولة الحديثة... و جعلها في العديد من حلقات فعلها تستند في حمايتها إلي قوي خارجية مما جعلها أداة موظفة بالصد من طموحات الأمة العربية في التحرر... صراع غيب مفهوم الثقافة المستقلة الاقتحامية بصيغة حماية المجتمع و أحل محلها مفهوم الثقافة التابعة... أو المرتدة إلي الورا... صراع ما فتني يتكرر في مختلف المواجهات و يكشف عن نفسه داخل الحراك الشعبي العربي بصيغة الاستحقاق النضالي في شكل محورين مترابطين عامة و منفصلين شكلا أولهما مسألة الأمة و مفهومها و ثانيهما مسألة التجديد الحضاري... في ظل عجز الدولة القطرية تحت لاقطة الحداثة و الأصالة بشكل مفتعل و بالتقابل بين دعاة التحديث التغريبيين و دعاة الأصالة السلفيين بما يجعلنا نحدد موقفا من ذلك لا بصيغة الإملاء و إنما بصيغة النقاش الواعي الهادف إلي الحسم و الابتعاد عن وضع الحداثة في تقابل مع الأصالة بما يعطل حركة المجتمع و الشعب إلي أمام كما هو مطروح و متداول.. من هنا نضع السؤال التالي. هل تحدد العقائد الدينية مفهوما للأمة؟ وهل الأصالة هي العودة إلي الماضي أم تحريك روح الماضي إلي الحاضر؟ كيف تتعامل مع صيغ المعاصرة الآن و التي تستهوي البعض لانتماء الشكلي لها؟

### 1- العقائد الدينية عنوان قيم مشتركة بين الإنسانية ولا تحدد مفهوما للأمة

## أ - العقيدة الدينية و الوجود القومي حالتان مختلفتان وإن اجتمعتا في وعاء واحد.

رغم أن الدراسات تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك من أن العقائد الدينية يمكن أن تكون عاملاً عرضياً من جملة عوامل نشأة قومية من القوميات... أم أن تكون العامل المؤسس فذلك لا وجود له لا من الناحية الواقعية المادية و لا من الناحية المعنوية... فالاسلاميون من العرب يصرون فكراً و خطاباً علي معاداة القومية كرابط اجتماعي حسي قائم و يحلون الرابطة الدينية التي هي حالة معنوية روحية محلها في قراءة خاطئة متجاوزة لما هو قيمي في الدين و عابر لما هو جغرافي اجتماعي محسوس و مادي... حتى العقيدة الإسلامية و إن شكلت العامل الدافع في التوحيد المادي للعرب كانعكاس للتوحيد الروحي الديني بدأت بعد أن بدأ العرب تلمس الطرق الصائبة لمواجهة القوي التي تستهدفهم و لعل أبرز مثال علي الترابط القومي عندهم قبل الرسالة السماوية للإسلام تتأكد في معركة ذي قار ضد الفرس كواقعة مؤشرة و مثبتة تاريخياً و فعلاً موثقاً... باعتبار حالتين.

**الأولي :** يحددها الاجتماع البشري كحالة مادية في أسبقته التاريخية قياساً بما هو قيمي ناتج عن هذا الاجتماع بصيغته المعنوية أو الروحية الجامعة و المشتركة...

**الثانية :** و تجد تأكيدها في العقيدة الإسلامية المؤكدة علي أنها أتت متممة لمكارم الأخلاق... أي معالجة ما هو معنوي جمعي قائم بصيغة الحث علي ما هو أرقى بمفهوم القيمة المعنوية المثال... قال الله تعالى **"يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم"** \* مما يعني أن الإسلام كدين لا يلغي الواقع القومي و لا يناهضه و إنما يؤكد وجوده الايجابي أي إقرار تعدد القوميات حاصراً المفاضلة بينها بمعيار قيمي معنوي هي التقوى **"إن أكرمكم عند الله أتقاكم"**... كما أنه يؤكد التنوع بين البشر لا علي مستوي الجنس فحسب و إنما علي مستوي التكون الاجتماعي **"جعلناكم شعوباً و قبائل"**... دون أن يلغي العلاقة الإنسانية أو يتجاوزها من خلال التنصيص علي مسألة التعارف **"لتعارفوا"**... بما يعني التواصل الإنساني بين مكونات اجتماعية متباينة الثقافة و اللغة و أسلوب الحياة.

إذن الإسلام لم يلغي القومية كوجود اجتماعي ثقافي تاريخي لكونها ليست فكرة أو عقيدة و التضاد الذي تدفع به التيارات الإسلامية سياسياً بين الإسلام و القومية العربية إلي السطح نقاشاً و تصوراً كأداة محاجة ومنهجا فكرياً لا يستند إلي أي أداة من أدوات المنطق أو الإقناع بما يجعل منه حالة مصطنعة لا تخلو من تساؤل بصيغة الريبة و الشك؟... باعتبار

اختلاف المستوي بين الوجود القومي و وجود العقيدة الدينية الإسلامية إذ لا تصح المقارنة بين حالتين لا تقعان علي ذات المستوي و إن وجدا بصيغة متكاملة في الأمة العربية باعتبارها الأمة المكلفة برسالة الإسلام سواء استقبالا أو نقلا للأمم الأخرى...و هو ما يجد تأكيدات في أكثر من حالة بآئنة أو في فرع من فروعها و بما ينص علي أن الأمة العربية هي أمة الرسالة الخالدة التي أنزلها الله جل جلاله للعالمين.

### ب - الأمة العربية وجود ثابت يؤكد الإسلام بمفهوم الرسالة خالدة للعالمين.

إذا كان الفكر العربي و منذ انطلاقة الأولي في صيغته العلمية الجدلية المتداولة و المؤشرة في كل ارثه النظري و التطبيقي و حتى في الدراسات التي تناولته سواء تلك النابعة من داخله بصيغة التحليل أو تلك المقترنة بما توفر له من فترات التطبيق العملي بصيغة التجربة أو حتى تلك الناقد ة الباحثة عن مأخذ بصيغة التشويه أو الشيطنة تؤكد عمق العلاقة بين الأمة العربية و الإسلام منذ نزوله كدين لعالمين في ماضيها أو حاضرها أو مستقبلها من أنها أمة الرسالة الخالدة في تطابق تام مع مفهوم " العروبة جسد روحه الإسلام " فان ما ورد في رسالة للأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي المجاهد عزة إبراهيم الدوري يزيد ذلك توضيحا : « إن أول من قال بلى هي روح الحبيب المصطفى سيدنا محمد ابن عبد الله النبي القريشي العربي صلى الله عليه وسلم , ثم قالت أمته بعده بلى ثم الأمم الأخرى وقد بشرنا جل شانہ في كتابه العزيز ووثقه لنا لمزيد من التكريم والتشريف من قبل ذلك الزمن منذ الأزل فقال عز من قائل "كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" كما قال جل شانہ "وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا". لقد اختارها منذ ذلك الزمن البعيد القديم واختار منها نبي الإنسانية حبيبه وصفيه ورحمته المهداة إليها أي إلى أمته العربية بشكل خاص ثم إلى الناس جميعا واختار منها الطليعة الثورية الرسالية المؤمنة الأولى ثم , الطلائع التي تليها لكي تواصل حمل الرسالة إلى يوم الدين يوم يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.. لقد اختار منها جيل الصحابة رضي الله عنهم طليعة الانطلاقة الأولى ورموزها وأعلامها واو لانك رجال حزب الرسالة يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم (إن الله اختارني واختار لي أصحابي) فقرنهم خير القرون وهم خير الناس كافة بعد الأنبياء والمرسلين ثم اختار تابعيهم ثم تابع التابعين ثم الذين يلونهم اختيارا , واجتباء إلى أن تقوم الساعة وذلك لحفظ الرسالة وحملها وتبليغها للناس كافة وأداء حقها كما أمر جل

جلاله..واعلم أيها الحبيب... فحيث ما ترد كلمة الأمة في رسالتي هذه إليك فاقصد الأمة العربية المجيدة وليس الأمة الإسلامية , إذ هي وحدها صاحبة الرسالة الخالدة الخاتمة تنزيلا وتكيفا وتبليغا وحفظا وأداء فعليها نزلت الرسالة وبلغتها نزلت وهي أول من امن بها وعشقتها وتعشقتها , وهي التي حملتها إلى مشارق الدنيا ومغاربها , وهي الأداة الأساسية والحاسمة لحفظها, وهي وعائها ومادتها.. فالرسالة الخالدة الخاتمة عربية التنزيل والمنشأ والمنبت والنمو والازدهار والتكليف والتبليغ.. إنها عربية صميمية فأدائها وحفظها وتبليغها وعشقها وتعشقها وحمل راياتها فرض عين على العرب لا يقبل من العربي بديلا على الإطلاق وهم الذين كلفهم جل جلاله لعرضها على أم الأرض لتتهدي بهدايا بدون إكراه **"لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"**. إن هذا الحكم القرآني يختص بالأمة الأخرى إن بقيت على دينها وتدفع الجزية.. أما العرب فلا يقبل منهم إلا الإيمان وحده لا يقبل منهم إلا الإقرار بوحدانية الله وبالرسالة لحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ابن عبد الله الهاشمي القرشي العربي وحرمة تواجد الأديان الأخرى في جزيرة العرب , وأنت تعلم ما كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يعرض الجزية على القبائل العربية ومدنهم وأقاليمهم إلى جانب الإسلام والسيف , وإنما كان يعرض الإسلام والسيف فقط أي إما الإسلام وإما السيفولو أن القرآن الكريم و الرسالة الخالدة كانت هي دين فارس ورسالتهم ما تمنى سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه ولا يحق له أن يتمنى أن يجعل الله بينه وبين فارس جبل من نار.

المثل الأول : هو أن صاحب الرسالة الخالدة الخاتمة هو سيدنا محمد بن عبد الله عربي المنبت والمنشأ عربي الأصل والفصل عربي الحسب والنسب ومن قلب العروبة وروحها من نفسها بل من أنفسها وهو اليوم وكما تعلم نبي ورسول وأمام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تهوي إليه وإلى مدينة أهله العربية المكرمة وإلى مدينته العربية المنورة وإلى قبيلته العربية الكريمة وأمنته العربية المجيدة أفئدتهم طاعة ومتابعة ومحبة وعشقا وتعشقا لقرانه وسنته ولسيرته ومنهجه ولصحابته وال بيته وعترته الطاهرة.

المثل الثاني : إن كلام الله القديم الأزلي الخالد بلغتهم أن من لم يتعلم لغتهم ويحبها ويعشقها أي بمعنى يحب العرب ويعشقهم لأن اللغة هي هويتهم وجنسياتهم وعنوان مسيرتهم الرسالية وعنوان حضاراتهم المجيدة وتراثهم العزير.

المثل الثالث: إن لغتهم يصرخ بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها حيث يتواجدون على المآذن وفي مكبرات الصوت وعبر الإذاعات والتلفزة والانترنت خمسة مرات في اليوم يشهدون بوحدانية الخالق **لا اله إلا الله** وبرسالة سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد العربي صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله فيسمعهم كل من في الأرض من العقلاء من انس وجن وملائكة فتخشع لهذا الصوت والكلام العربي الفصيح البليغ قلوب المؤمنين وتغتاظ له قلوب الكافرين والمنافقين من عالمي الإنس والجن.

المثل الرابع : قرانهم العربي الكريم الذي حملوه إلى الدنيا في صدورهم يسفكون دماهم من اجله يترنم به المسلمون ليل نهار بلغتهم العربية يتقربون به إلى الله تعالى زلفى فأى تكريم هذا التكريم, وأي شرف رفيع هذا الشرف؟.

المثل الخامس : يقول جل جلاله في مكان آخر من القران العربي الكريم **"وكذلك أنزلناه حكما عربيا"** والحكم كما تعلم هو الرئاسة والقيادة والريادة والإدارة العليا , ولقد قال الحبيب صلى الله عليه وسلم (الإمامة في قريش) وقد احتج سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه وأرضاه بهذا الحديث على الأنصار في سقيفة بني ساعد عند ترشيح سيدنا أبا بكر رضي الله عنه للخلافة وأقر الأنصار بذلك واستجابوا رضي الله عنهم وأرضاهم.

المثل السادس: يقول الجليل جل شأنه في مكان آخر من القران العربي الكريم **"وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس.."** انظر أيها المجاهد العزيز في المعاني الكريمة العميقة في هذه الآية الشريفة العزيزة على قلوبنا كيف يبشرنا فيها جل جلاله ويعلمنا و يأمرنا ثم يفيض علينا من مكارمه ومحامده وعطاياه فهو الذي اجتباننا على الأمم.. أي اختارنا من بين أمم الأرض لمحامد وصفات ومزايا أودعها ووضعها فينا جل جلاله وهو الذي جعلنا على الحنيفية السمحاء ملة أبينا إبراهيم عليه السلام ليلها كنهارها لقوة الإشراف والهدى فيها.

وأنت تعلم أيها العزيز وكل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يعلمون أن **إبراهيم عليه السلام لم يكن في يوم من الأيام ولا في دهر من الدهور أبا للفرس ولا أبا للأتراك ولا أبا للصينيين ولا للهنود ولا للانكليز والأمريكيين ولا أبا للاندونيسييين والنيجريين , وإنما هو أبو العرب بشهادة الحق جل جلاله وبشهادة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم والقران الكريم يزخر بالحديث عن العرب وعن عطائهم وأدائهم ومقامهم ودرجاتهم ومسئولياتهم**

ويكفي العروبة أن سيد المرسلين وخير خلق الله أجمعين منهم ثم المهاجرين والأنصار السابقون السابقون الأولون منهم والصحب الأكرمين منهم ومن تبعهم وسلك طريقهم من أبناء العروبة إلى يومنا هذا والى يوم الدين» .

من هنا نطرح السؤال لماذا ترفض التيارات المتأسلمة لا بل تعادي هدف الوحدة العربية و تعده متعارضا مع هدف ترفعه و تحتاج من خلاله و به غيرها من أبناء الأمة العربية و هو هدف الوحدة الإسلامية؟ هل بناء علي موقف فكري يستند علي ما هو مؤشر نسا أو سيرة نبوية أم حالة سياسية مسقطة علي الدين بصيغة اللبوس الغير قابل للتفعيل لا بما يمثله الحاضر فحسب و إنما بحسابات المستقبل أيضا؟ اذا كان الجانب الفكري تغنده المعطيات الواردة أعلاه بأسانيدها فان الجانب السياسي من الخطاب يفنده و يلغيه الواقع الميداني سواء في الأمة العربية أو الأمة الإسلامية... إذ حالة التوحيد قائمة و متحققة و معاشة فعلا فيما هو روعي و في كلا الحالتين... غير أن التعبير السياسي أي وحدة الأقطار أو النظام في كلا الحالتين غير قائمة و هو ما يجب السعي وراؤه و الأقرب أولي بالمعروف و هي قاعدة شرعية باعتبار أن الوحدة العربية قادرة علي حماية أبناء الأمة في أكثر من جانب حياتي مادي و معنوي روعي... فلماذا يقرون بإمكانية تحقيقه علي مستوي الأمة الإسلامية بالرغم من كل الاختلافات الثقافية و اللغوية و الاجتماعية لمكوناتها... و غير ممكن علي مستوي الأمة العربية رغم انعدام الاختلافات المشار إليها في سابقها و إن وجدت بعض الخصوصيات المحلية المحدودة بالرغم مما تمثله من مكون منسجم؟ ثم لماذا تتشبت التيارات الإسلامية في المجال الإسلامي (إيران/تركيا) بانتماؤها القومية و تدافع عنها في حين تهرب التيارات الإسلامية ذات التوطن العربي من التشبث و الدفاع عن مجالها الجغراسياسي الاجتماعي إلي الأممية الإسلامية بصيغة خطاب و الدفاع بصيغة فعل ميداني.؟ كما تتشبت بالأصالة المتدحرجة إلي الماضي بتصور "خطوة إلي الخلف" خطابا و محاجة و تستقرى أمثلتها من ذات المثال (الإيراني أو التركي)...رغم كون المثالين إن صح عليهما اعتبار المثال يعبران عن حالة قومية صرفة بكل تصوراتها الإستراتيجية... و ما يمارسونه من تمدد علي حساب الأمة العربية بصيغة المصلحة القومية قائم و بائن...و هذا ما يؤكد من أن التيارات الإسلامية ذات التوطن العربي هي تيارات غائية تهدف السلطة أساسا و في تعارض تام مع ما ترفعه من لافتة دينية... إذ من يرفع هذه اللافتة عليه أن يفهم من أن القرآن الكريم عربي اللغة و الرسول عربي المنبت و الانتماء و الطليعة الأولي التي

أمنت بالإسلام و نشرته هم عرب و من أن انتشار الإسلام بصيغة الدعوة أنجزت من قبل العرب و لم تنجز من قبل غيرهم من الأمم التي أسلمت علي يدهم و من أن الإسلام لم يستقر و يوطن بصيغة العقيدة إلا في المناطق التي حملها له العرب حتى و إن كانت البوسنة و ألبانيا أو الشيشان كانت علي يد العثمانيون فإنها مناطق محدودة بقياسات الواقع الذي يمثله المسلمون عامة الآن... و الأسئلة كثيرة في هذا المجال بما يحرك أكثر من شبهة حول طبيعة خطاب هذه التيارات الاسلاموية و لعل أهمها موقفها من الأصالة و الحداثة...

## 2- الأصالة و الحداثة مركب واحد الفصل بينهما تشويه للفكر لا ينفصل عن أهداف غائية.

(أ). **كيف نري الأصالة بمنطق العصر** : ينطلق المناضل المؤمن بالرسالة الخالدة للأمة في هذا الموضوع بالأساس من تحريك روح الماضي إليه وليس الرجوع المتدرج إلي الماضي بتصور "خطوة إلي الخلف" وإنما بتصور و فعل خطوة إلي أمام.. فعندما نحرك الماضي أي بمعنى نحضر الماضي بروحه و قيمه لأغراض التفاعل لتأدية رسالة الحياة في العمل إلي أمام.. فأنا في هذا لا نستنسخ الصيغ و الفعل من الماضي وإنما نمد جسرا حيا يربط بين الماضي و الحاضر و يفتح علي المستقبل بكل مستلزماته في التطور و الفعل إلي أمام.. وبالتالي عندما نحضر حلقة من حلقات تجربة العرب الماضية و ندرس تاريخ أحد الخلفاء الراشدين مثلا فأنا لا نستعير الصيغ التي استخدمها وإنما نأخذ الروح التي انطلقت منها الصيغة أو الصيغ التي استخدمها في معالجة موضوع ما.. و عندما نقول أن فلانا كان مبدئيا و أمام المبدئية لم يجعل قيم الأرض و مغرياتها بديلا عن قيم السماء و حاول أن يحضر قيم السماء في الوقت الذي استخدم معطيات الأرض لخدمة قيم السماء من خلال هكذا تصور و تفكير نتصرف علي ضوء تصرف هذا الجد الذي هو جزءا من تاريخنا.. لكن علينا أن لا نستعير صيغا استخدمها هو قبل 1420 سنة.. و علينا أن لا ننشغل بمناقشة ماذا نأخذ من تاريخ عمر و علي و أبي بكر أو عثمان.. "رضي الله عنهم" من صيغ العمل و تطبيقاته.. وإنما علينا أن نفهم روح سيرة هؤلاء الأجداد و نفهم كيف نكون أصحاب مبدأ في النظرة إلي الحق و الحقوق بين المواطن و الحاكم بين المواطن و المواطن كيف نستحضر عدالة الأولين في روحها كيف نستحضر اشتراكية العرب المسلمين في روحها و قيمها العامة كما جاءت في تصرف عمر بن الخطاب و علي بن أبي طالب. وبالتالي فأنا عند دراسة فعاليات و تصورات العرب عبر تاريخ الأمة نستفيد منها كدروس بليغة لكي نجعل روح العصر

ممتدة إليها في الوقت الذي نحرك روح الماضي إلي العصر هكذا يمكننا أن نستقي الدرس من التاريخ والتراث بدون تعصب ورجوع إلي الخلف يمنع ويعرقل التقدم إلي أمام وبذلك تكون قوانين الحاضر ومستلزماتها قد سجلت حضورا ثوريا حيا لأن التاريخ والتراث سيكونان جسرا ممتدا ومتحركا إلينا ولسنا حالة راجعة إليهم بمثل هكذا رؤية تكون أية حالة اقتباس وأية نظرة شكلية للماضي وأية نظرة شكلية للحاضر تقود للخطأ الجسيم.. إذ التخلي عن الماضي عبارة عن تشبث شكلي وانتماء مذهري للمعاصرة والتخلي عن الحاضر المتحرك للإمام ومستلزماته وقوانينه هو انتماء شكلي إلي الماضي وليس انتماء إنساني وثوري له.. علينا أن ندرك أن أجدادنا الأوائل كانوا منتمين انتماء ثوريا إلي حاضرهم الذي أصبح ماضيا في الوقت الذي كان حاضرهم منتميا إليهم انتماء ثوري.. لأنه كان متحركا إلي أمام بفعل القيم والممارسات التي كانوا يغيرون الواقع بموجبه.. فالنقطة الأساس في عظمتهم أنهم ثاروا علي علاقات و مقاييس متخلفة... من هنا علينا أن نفهم أن أي صيغة من صيغ المعاصرة الآن التي تستهوي البعض للانتماء الشكلي لها إنما هي جزء من تاريخ أمم أخرى لم تكن معزولة في حركتها عن عصرها الذي عبرت عنه في الفعل والتصور في الوقت الذي اتصلت بماضيها اتصالا حي.. لذا فنحن العرب عندما نقتبس مظاهرها وحلقاتها الخارجية لا ننتمي إلي أمتنا انتماء صحيحا وعندها سننتمي للحاضر انتماء شكليا مبتورا غير إنساني وغير ثوري في نفس الوقت.. من هنا فانفتاحنا علي معطيات حضارة الغرب فلكي نفهمها وتتفاعل مع ما ينبغي أن تتفاعل معه لا انتماء شكلي إلي أي منها والتي هي ثمرة مجهود قومي إنساني بالأساس تواصل فيه الماضي بالحاضر.. فالأمم الغربية تنتمي إلي تجاربها انتماء متكاملًا وهكذا تكون جزء من ماضيها في الوقت الذي تؤدي واجبها في الحاضر.. بينما نحن إذا انتمينا إلي المعاصرة التي هي حصيلة مجهود أمم أخرى بصورة مذهرية فسنكون عمليا خارج أمتنا في الوقت الذي نكون فيه خارج الأمم الأخرى ونكون في هذا التصرف والتصور غير ثوريين ولا إراديين لأننا لا نقدم إضافة إبداعية للحياة ويقتصر دورنا علي النقل والتحرك الآلي لتجارب الشعوب.

**ب). الإيمان حقيقة قائمة :** لننظر إلي الحياة نظرة علمية تحليلية سنري و حتى الآن أنه لم يثبت لدينا ولم نطلع ونعرف أن هنالك فاصلة في التاريخ والحياة الإنسانية كان فيها الإنسان يحس بالسعادة لمجرد الانتماء إلي المرئي والمحسوس في الأرض وما يبقي علي سطحه.. إذن الإنسان وعبر تاريخه كان يتطلع وباستمرار إلي ما هو أبعد من المرئي والمحسوس..



تطلع جعله في بعض الأحيان يتخذ من المرئي نفسه حالة وكأنها خارطة إرادته وخارج الحضور العملي لحواسه فيجعل من الصنم الذي يصنعه بنفسه من الحجر له رغم أن الصنم في مادته جزء من الأرض التي يقف ويعمل علي سطحها إذن حاجة الإنسان إلي التطلع خارج ما يقع بين يديه وإلي الروح حني فيما هو موجود بين يديه من مادة وما هو مرئي منها حاجة قائمة لذلك نجده يجعل من الحجر صنما ينظر إليه علي أن له روحا. كما تشتد حاجة الإنسان إلي تجاوز المرئي إلي ما هو أبعد عندما يزداد تمتعه بها إلي الحد الذي يكون فيه قد أشبع كل حاجاته الإنسانية في جانبها المادي وصار يشعر بالاختناق والفراغ وعندما تسحقه ظروف الحياة وتتغلب عليه فيتملكه الشعور بالفراغ جراء عدم مقدرته في السيطرة علي شؤونها وتسخيرها لتحقيق مستلزماته وحاجاته منها كما ينبغي.. وهكذا يتطلع إلي الأعلى إلي الأفق متجاوزا المنظور.. عندما يتوفر له ما يطلب من حاجة مادية وعندما يعجز عن الحصول علي أبسط مستلزمات الحياة الصحيحة عندما يكون صحيحا معافى وعندما يكون مريضا.. وإن اختلفت درجات التطلع من حيث الحاجة بين هذه الأصناف رغم أن التفكير في التطلع إلي الأعلى الغير مرئي غالبا ما يرافق الناس الذين تقسو عليهم شروط الحياة وظروفها سواء كانوا في الأراضي المنبسطة أو علي ضفاف الأودية بنسبة أعلي من سواهم من الأصناف... إذن العبادة وحالاتها مسألة إنسانية والحاجة إليها إنسانية كذلك.

لنأخذ هذا التقديم في علاقة بالواقع القطري أي كان و الذي هو جزء من الأمة العربية بامتداداتها الإنسانية.. فسنري أن نظرتنا استنبطت من هذا الواقع فبالقدر ما هي حركة تسعى لتغيير هذا الواقع وتحريكه باتجاه يحدد إمكانات الأمة ليضعها في موقع تصيح معه قدرة علي العطاء والتوثب الحضاري واحتلال موقعها الإنساني بقدر ما يفرض علينا رفض القطع مع واقع وتاريخ الأمة العربية وكيف كان مليئا بحركة الأديان وبتطلعات الإنسان إلي العبادة.. لذلك لا يمكن للشعب أن يكون بلا علاقة بين الأرض والسماء (أي بين المادي والروحي) من هنا فالعلاقة التي نريدها تختلف في جوهرها عن نظرة دعاة الأصالة المتدرجة بالتصور والفعل إلي الماضي ونظرة المغتربين الداعية للقطع مع الماضي واستقدام تجارب الآخرين.. هذا يقودنا إلي طرح موضوع العلمانية.. ماذا نفهم منها؟

ج(العلمانية نظرة مدنية : هل ينظر إليها علي أنها تعني الإلحاد؟ أم ينظر إليها بأنها تعني أن

يكون للدولة مهام مدنية وعليها أن لا تغرق بأية حالة دينية تصورا وسلوكا يجعلها منتمية علي وجه التخصص إلي جزء من الشعب في القطر الواحد وفي الوطن العربي دون أن تحض باحترام وموافقة الشعب كله.. وبدون أن يختلف الشعب عليها؟ إذن الدولة التي نفهمها والتي نهدف تحقيقها هي التي يعيش في ظلها الشعب كله بحرية تامة في أديانهم ومعتقداتهم في انتماءاتهم المذهبية.. الدولة التي تراعي المعتقد والدين وأماكن العبادة والطقوس دون أن تتدخل فيها وتنتمي انتماء تخصصيا فتويا إلي أي منها وبالتالي دولة تتجنب أن تكون **\*بيت عبادة\*** أو فتوى عبادة أو مفتيا للحياة من طريق ديني.. وأن تركز علي دورها وواجباتها بوصفها مفتي الحياة **\*بيت حياة\*** الشعب الذي يجمع أبناءه من مختلف الانتماءات والاجتهادات في ظلها لأننا نأخذ جوهر الأمة في صلاتها بالروح هذا هو الأساس في صلة الإنسان بالدين وليس هناك من عاقل من أبناء الشعب ويفهم جوهر الدين ومستلزمات الحياة بمعانيها الواسعة والعميقة ويقع في خطأ يجعله يتجاوز هذه الحقائق.. لو سألن كل الناس الذين هم يجزئون الأمة العربية في هذا القطر وذاك.. هل تريدون تجزئة الأمة؟ هل تريدون تجزئة الشعب لأجوابا أبدا لا وألف لا.. ولكنهم يتصرفون عمليا بهذا الاتجاه لأنهم ينطلقون من تفكير خاطئ يفضي إلي تجزئة الشعب في القطر الواحد وتجزئة الأمة في الوطن الكبير فالعاقل المخلص للشعب والأمة ولرسالتها والذي يحرص علي إبعاد مخاطر التشرذم والفرقة بين أفراد الشعب هو الذي ينتمي للأمة كلها لا لجزء منها هو الذي ينتمي إلي الشعب كله لا لجزء منه.

لنفهم حقيقة قائمة إن تحول الدولة إلي مركز للفتوى وللتخصص الديني الفتوي سيجعلها في أحسن الأحوال قد اختارت جزء من الشعب لناخذ مثال تونس القطر الأكثر انسجام في الواقع العربي المسلمين يمثلون و باحصائيات رسمية متداولة نسبة مرتفعة (98%) بينهم (المالكي والحنبلي والحنفي والشافعي) وبينهم طوائف أخرى وإن كانت بنسب محدودة.. فما بالك بواقع الأمة العربية ككل التي نجد بها المسلم السني (المالكي والحنبلي والحنفي والشافعي و الوهابي و المهدي و السنوسي) و بينهم المسلم الشيعي(الاثني عشري و الإسماعيلي و الزيدي...) و المسلم الخارجي (الأباضية أو الأزارقة/الصفرية) و بينهم المسيحيين(القبطي و الأورثوذكسي و الكاثوليكي و النسطوري...)...و طوائف أخرى و بنسب متفاوتة (اليزيدي و الصابئي و الدرزي)... **علي الدولة أن لا توقف الاجتهاد في المعتقد إذ أن هذا ليس من شأنها ليجتهد المجتهدون وليناقش رجال الدين فيما بينهم وليقل**

كل واحد منهم رأيه فيما يعتقد في المسألة الدينية ولكن علي الدولة أن لا تكون مجتهدا جديدا في الحياة من مدخل ديني إذ أنها إن فعلت ذلك فأنها في أحسن حالاتها ستعتبر مجتهدا دينيا جديدا عليه أن يصطف مع المجتهدين الدينين الآخرين يختلف ويتوافق معهم.. وفي هذا عليها أن تنتمي إلي مدرسة من المدارس الدينية ومذهب من المذاهب إذا عالجت شؤون الحياة من زوايا دينية وعندئذ ففي أحسن حالاتها قد تفوز بانتماء جزء من المواطنين إليها دون باقي الشعب.

(د). ضد تحريف التراث الروحي والحضاري للأمة العربية : يشير تاريخ المسلمين العرب بعد و حتى أثناء عهد الخلفاء الراشدين أنهم اختلفوا بشكل واسع وعميق حول الطريقة الأجدى لتطبيق أحكام الدين علي الأرض وهم الذين كانوا أصحاب محمد (صلي الله عليه وسلم) عندما كانت تنزل عليه آيات القرآن وفي وقت لم تكن الأحكام الدينية قد أرهقت باجتهاد المدارس والمذاهب فكيف الآن إذا ما زجت الأحكام في إعطاء الفتوى بالمنوع والمسموح في شؤون الحياة التي زادت مفرداتها مرات و مرات علي ما كانت عليه قبل 1400 سنة من الآن.

### إن زج السلطة في إعطاء أحكام لشؤون الحياة من مدخل ديني لا بد أن يفضي إلي واحدة من الحالتين :

● عرقلة التطور في شؤون الحياة وتحويلها إلي جحيم لا يطاق من شأنه أن يقتل إبداعات الإنسان وتفاعله مع روح العصر ومستلزماته.

● إفراغ الدين من قدسيته ومهابته وروحه وتحويله إلي غطاء لتبرير الكثير من مفردات الحياة واجتهادات بما يسئ إلي الدين في جوهره وتجلياته.

لذلك ليس من مصلحة الشعب والأمة من الناحية النظرية ولا من الناحية العملية أن يفكر الناس الذين يريدون فعلا توحيد الشعب والأمة ووضعه ووضعها في حالة صيرورة جديدة من حيث الدور القومي والإنساني في أن يعالجوا الحياة من منظور ديني لأنهم في أحسن الحالات سيكونون مجتهدين دينيين يختلف معهم علي نطاق واسع وعميق ليس الدينويون فقط وإنما الدينويون بالدرجة الأساس سواء صنفوا كمجتهدين صغار أو كبار وبالنتيجة النهائية سينتمون إلي جزء من الشعب أو الأمة لا للشعب كله في القطر الواحد أو الأمة كلها في الوطن الكبير. لذا الادعاء بتوحيد الشعب أو الأمة من منظور ديني نظرة سطحية

خيالية غير صادقة ومتعصبة لذلك نرفض هكذا توجه الذي وجد قبل وبعد ظهورنا علي ساحة الوطن أو القطر ونرفض المنهج الإلحادي الذي وجد قبل وبعد ظهورنا كذلك. قد يبرز من يقول أننا نضع القومية فوق الدين علي العكس تماما نقول أن هذه المفاهيم تضع القومية في مستواها ودورها الإنساني الحقيقي والصحيح.. وتترك للدين دوره ومستواه القدسي دون الإساءة إليه.. فالدين الإسلامي لم يكن بديلا عن القومية في معانيها الإنسانية وليس حالة متعارضة ومتناقضة معها بل أن الإسلام قد أكد المعاني القومية المنفتحة والإنسانية وأكد الكثير من أخلاق وقيم العرب الأصيلة وأعطى للعرب دورا إنسانيا قياديا ليس داخل الوطن العربي فحسب وإنما خارج حدودهم القومية في الوقت الذي بلور وعمق أهم خواصهم ومقوماتهم القومية بعد أن عززها بروح الرسالة ودورها الإنساني وعزز إمكانات الرسالة علي الأرض بخواص العرب ومقوماتهم القومية الإنسانية الأصيلة. فالإسلام عزز وحدة العرب بعد أن كانوا قبائل متناحرة ومتخلفة اجتماعيا و لم يكن ضد العروبة أو وحدة العرب بل معززا للعروبة ووحدتها جاعلا من الخواص الايجابية عند العرب مرتكزا للانتشار إلي أبعد النقاط الجغرافية التي بلغها.. لذا فان أي دعوة لا تضع هذه الرؤية في حساباتها وخاصة دور العرب القيادي في الدين وعدم تعارض الدين مع القومية العربية ومنهجها التحرري الإنساني لا يمكن إلا أن تكون معادية للعروبة ومنحرفة بالتصور والتصرف عن المفاهيم الصحيحة لجوهر الدين هذا لا يلغي فهمنا من ناحية ومن ناحية أخرى عدم اختلافنا مع الدينين في أن الدين هو أداة معارضة وسلاح ضد الطغاة والمستبدين والفاستدين من الحكام في مرحلة من مراحل الحياة وفي ظرف من ظروفها لكن لا يجب أن يحجب هذا السلاح الأداة في ذهن المناضل بقية الأدوات الأخرى وأن **يبتنه إلي أن لا يمسك هذا السلاح (السيف) من نصله فيقوم استخدام الدين كسلاح أو غطاء للمعارضة إلي تمزيق الشعب وإحياء الآراء والنظريات المتخلفة وتعطيل تقدم الحياة وروح المعاصرة التي بدونها سننقى شعب مستعبد وغير قادر علي العطاء والإشعاع القومي و الإنساني.**

انطلاقا من هكذا تحليل نري أن مسألة الانتماء للأمة العربية و لرسالتها الخالدة محسومة مما يجعل طرحها و بصيغ طائفية لا يخلو من استهداف تقويضي لبنية المجتمع ومدخلا من مداخل الانحراف به إلي الاقتتال الطائفي أي إحياء **الفتنة الكبرى بصيغة عصرية في ظرفية العرب فيها لا يمتلكون إرادة صياغة سياساتهم بشكل مستقل عن مراكز جذب و**

تأثير عالمية تستهدفهم أرضا وإنسانا و إرثا حضاريا... أي تهديد الأمة العربية في حاضرها و مستقبلها بمفهوم المرحلة التاريخية و ليس بمفهوم المحطة... أما و أنها قد طرحت منذ بدايات التقابل مع نهاية الحرب الكونية الثانية فكريا بصيغة عامة و عمليا بصيغة طائفية منذ وصول الخميني للسلطة في إيران من ناحية و من ناحية أخرى الخروج السوفياتي من أفغانستان و بشكل تصاعدي بعد احتلال العراق و بصيغة الاستحواذ علي السلطة المدعوم و المبرر و المسنود غربيا بالسلح و المال و الإعلام في ظل الحراك الشعبي العربي القائم حاليا... فإنها مؤشر دال علي أنها خطاب سياسوي أكثر مما هو رؤية فكرية... خطاب يهدف خلق الأرضية الملائمة لتفعيل أجندة غير أجندة الشارع العربي التي عبرت عليها الشعارات المرفوعة "حرية... كرامة...عزة وطنية" خطاب يرفعه تحالف مركب و متداخل الفعل يستهدف مزيد إغراق الأمة العربية في أزمات مصيرية إضافة إلي أزماتها المتراكمة بفعل التخلف و حالات الاعتراض علي نهوضها و امتلاكها لإرادتها المستقلة.. تحالف يمتلك زخما ماديا مدمرا بصيغة الأخطبوط أصابعه الأسلمة السياسية الطائفية التي تستند إلي قواعد بصيغة الحواضن المادية و الإعلامية إقليميا (إيران من ناحية و من ناحية أخرى السعودية- قطر و تركيا) و مركز تخطيط و توجيه ودعم تنفيذي تمثله الولايات المتحدة الأمريكية. فما هي طبيعة هذا التحالف و ماذا يهدف؟

يتبع.

المهدية 2012/03/17

المشروع القومي العربي حقيقة حية فاعلة  
من أجل ثقافة عربية معاصرة تقطع مع "المنافسة"  
وتؤسس لمفهوم جديد لمواجهة التحديات

## "الحلقة الرابعة"

### التحدي الامبريالي الصهيوني - اسلاموي بطرفيه (ولاية الفقيه X السلفية الأصولية)... الطبيعة والأهداف

شبكة البصرة

تونس - يوغرطة السميري

يقول ريتشارد بوليت في كتابه "دفاعا عن الحضارة المسيحية - الإسلامية" >..فقد كان الإسلام في تاريخه الثقافي والتجاري فيما بين الشرق والغرب واليهودية والمسيحية بين المحيط الهندي والمتوسط.. كان في كل هذه المواقع والأزمنة وإلي اليوم جسر تواصل.. أما التوترات التي تظهر بداخله فهي ناجمة عن الضغوط الهائلة التي مورست عبر التاريخ والحاضر علي هذا الجسر بقصد هدمه أو سده أو تعويقه..<... قراءة تجعل من مسألة العدو الخارجي حقيقة قائمة وليس شعارا يخفي عجزا متأصلا في طبيعة العرب بحكم تأسيس العرب لهذا المجال عند امتلاكهم لأرادتهم.. وان كان هذا الرأي يرد اعتماده في التعبير تفسيراً لحالات الإخفاق التي واكبت مسيرة الأمة العربية في الوصول إلي حالة الإقلاع والنهوض من ناحية ومن ناحية ثانية مدخلا لتسفيه الرؤية القائلة من أن العرب كمشعب ومجالهم الجغرافي كوطن يخضعون لحالة استهداف مركبة فيما تهدف إلغائهم كمكون تاريخي - حضاري في أعلي اهتماماتها وفي أدنها إعاقة تطلعهم إلي التحرر والتوحد بصيغة المرحلة لفائدة قوي دولية متنفذة خاصة وخدمة لمصالح أطراف إقليمية عامة انطلاقا مما يعيشه الواقع العربي من تحدي امبريالي صهيوني - اسلاموي بطرفيه (ولاية الفقيه X السلفية الأصولية)... مما يجعل من السؤال حول طبيعة هذا التحدي وأهدافه ملحا من ناحية ومن ناحية ثانية يفرض علي المشروع القومي العربي إجابة بصيغة ما العمل؟

### التحدي الامبريالي الصهيوني - اسلاموي بطرفيه : تحالف أم صناعة أدوات

إذا كان التحالف الامبريالي الصهيوني قائما ومؤشرا فانه ليس من الصعب علي كل من يود تحديد انطلاقة الأسلمة السياسية بشقيها في الوطن العربي أو بلدان العالم الإسلامي خاصة المجاورة للوطن العربي... في فرعها الأول كشكل من أشكال رد الفعل التلقائي علي انهيار

الإمبراطورية العثمانية (سقوط الخلافة)... وفي فرعها الثاني صيغة من صيغ التعبير في نظرة أصحابها علي أحقية تاريخية في استعادة دور حضاري كان للإسلام والعرب دور في تغييره (إيران)... أن يكتشف من أن نشأة هذا التيار وبقريه لم يكن بمعزل عن القوي الامبريالية المنتفذة في الساحة الدولية... قوي لعبت وبشكل عملي منذ الحرب الثانية وحتى الآن دور الحواضن بفعل يتغير من محطة إلي أخرى حسب الحاجة المصلحة في علاقة معما تستهدفه هذه القوي استراتيجيا في المنطقة العربية خاصة والعالم الإسلامي عامة... بصيغ وأشكال متعددة يمكن حصرها في :

### (1) شكل الرقيب المعرقل :

بصيغة المحافظة علي نوع من الرقابة العامة للتوجهات السياسية الناجمة عن حركات التحرر من الاستعمار في ظل الحرب الباردة من ناحية ولما لا الدفع بها إلي أن تلعب دور المعرقل سواء استهدافا للرموز الوطنية والقومية في الساحات التي عرفت مشاريع وطنية وقومية مناهضة للإمبريالية سواء عربيا (مصر - سوريا - العراق) أو إسلاميا (حكومة مصدق/ إيران)... ودور المساند والمبرر للقوي الليبرالية المتبينة للإستراتيجية الغربية في ظل الوفاق الدولي بمفهوم المتبرع لخدمة الوطن دون حسابات السلطة والمعادي لكل ما هو فكري تحرري يصل حد الانخراط في ترويج خطابات السلطة خاصة في مؤسسات التربية والتعليم بمراحلها الثلاث والمؤسسات الثقافية... ومؤسسات الشباب والطفولة في مرحلة أولي والمؤسسات الأمنية في مراحل متقدمة بصيغة الفعل المتداخل تحت مسميات "الدعوة والتبليغ" كما هو الأمر في تونس والجزائر والمغرب خاصة منذ ستينات القرن الماضي وفي مصر منذ أن سرحهم السادات ليضعهم في تقابل مع القوي الوطنية والقومية المنتفذة لتوجهاته في جانب وفي جانب ثاني كبادرة حسن نية منه اتجاه القوي الغربية تؤكد خروجه النهائي وإخراج مصر بشكل أدق من الساحة المحسوبة علي السوفيات... في ظل الوفاق الدولي.

### (2) شكل الأداة الطيبة :

صيغة لزعة النظام الدولي استنادا لأقطار الخليج العربي وبتوجيه مركزي من القوي الحاضنة وتحت تأثير الترابط التبعية لهذه الأقطار طبقا لمقتضيات الوفاق الدولي توفرت لفرعها الأول حرية الحركة تكوينا وإثراء وهيكله... ليتم استخدامهم كأفضل استخدام في

دور الأداة الطيعة في إضعاف ثنائية الاستقطاب الدولي والتبشير بنهايته لفائدة نظام دولي جديد (ألتدخل السوفيياتي في أفغانستان ودور الأسلمة السياسية في الاعتراض عليه) وبالتوازي مع ذلك دفع الطرف الثاني منها إلي السلطة (الثورة ضد شاه إيران وإبعاد قواها الحقيقية وتسليمها لولاية الفقيه) بصيغة الإسلام الراض للشيطان الأكبر إعلاميا والمنخرط عمليا في إستراتيجيته... إسلام يهدف إعادة إنتاج الفتنة الكبرى تحت لافتة "المظلومية" مستهدفا أبرز حلقات الاستقلالية في الأمة العربية سواء فعلا أو تحفزا للنهوض (العراق)... أي ضرب جدار المجتمع العربي في أساسه الجامع والذي عجزت القوى الدولية بالرغم من امتدادها الثقافي والمادي نتيجة المرحلة الاستعمارية أو من خلال قاعدتها المتقدمة بمفهوم الدولة في فلسطين المحتلة من إحدائه طيلة نصف قرن... أي طرحها صيغة متقدمة في الأذى حقق تحويل الاهتمام مما هو وطني جامع إلي ما هو مذهبي تشبثي ذا نتاج مرتد فعلة استشري بإسناد بائن من وسائل الإعلام ومراكز الفتوى المفعلة ليشمل الساحة العربية في أدنى مكوناتها الاجتماعية...

### مرحلتين مهدت لتصنيع الأسلمة بشقيها محققة لها جملة أهداف أهمها :

- الامتداد الأفقي داخل المجتمع العربي عامة والدولة القطرية خاصة
- الامتداد العمودي (خليط من فئات المجتمع)
- بناء هياكل ترتيبية تنظيمية ذات أثر تنفيذي
- تأسيس هياكل اقتصادية داعمة... بصيغة الدولة كما هو الأمر بالنسبة للطرف الثاني (ولاية الفقيه) أو بصيغة المؤسسات العابرة المستندة إلي غطاء دولي أطرافه متعددة بالنسبة لفرعها الأول (السلفية - الأصولية).

أي الانتقال من الأداة في طور التكوين إلي مستوي الأداة القابلة للعمل بشكل تلقائي دون الخروج عما كلفت به من مهام سواء بصيغة مباشرة أو تعبيرا عن رؤيتها عامة... النتيجة تصعيد للسلطة بصيغة تسليم المفاتيح علي شاكلة ما تم بالنسبة للطرف الثاني الذي استلمها خلفا للشاه في ظرفية الهدف منها تضيق الخناق علي القطب الثاني من نظام ثنائية الاستقطاب الدولي التي كانت قائمة وإشغال الساحات التي هي ظاهريا محسوبة عليه بصيغة الموقف (العراق)... في تشابه يكاد يكون متطابقا حتى في طبيعة منطلقاته



وشخصه مع تباينات شكلية من حيث المظهر ولفظية من حيث الخطاب باعتبار كل والدور المناط به لتحقيق ما من أجله وجد في صدارة إدارة السلطة بصيغة الهدف لغايات إستراتيجية بآئنة...

### **الأسلمة السياسية أداة لغايات إستراتيجية.**

تفكك الاتحاد السوفياتي وانهيار نظام ثنائية الاستقطاب الدولي جعل التحالف الامبريالي - الصهيوني في وضعية المكشوف في توجهاته الإستراتيجية الهادفة للتفرد بالهيمنة وصياغة العالم طبقا لتصوراته الاجتماعية والاقتصادية كما توضحها السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية كقوة قائمة استنادا لما تمت صياغته من تصورات إستراتيجية منذ نهاية الستينات ففي اجتماع للجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس الأمريكي 20 نوفمبر 1967 وعلي سؤال ما هو واجب الولايات المتحدة في الخمسين أو المائة سنة القادمة أجاب المؤرخ الأمريكي... " Henry Steele Commager إني أعتقد أن واجبنا في المستقبل... ليس الواجب الذي اضطلعت به بلاد الإغريق أو ذلك الذي حملته روما وإنما الاثنين معا. بحيث أن نمتلك من القوة العسكرية ما يماثل ما امتلكته روما في عصرها وأن نقوم بما قامت به نحو الشعوب الضعيفة والفقيرة. وفي نفس الوقت أن نكون كالإغريق في امتلاك المعارف والقيادة في الإبداع العلمي... إذا ما عملنا ذلك فإن العديد من المشاكل والأزمات ستختفي من طريقنا" وبمبررات فكرية كتغطية لتغيب الإستراتيجية الهدف من خلال ظهور فرضية صدام الحضارات التي أطلقها صومائيل هنتنغتون عام 1993، والتي بشر فيها بحتمية الصدام ما بين الغرب والإسلام وما إثارته من نقاش واسع تجاوز حقيقة ما تضمنته من مفاهيم... أي خلق العدو الذي يحل محل الاتحاد السوفياتي بصيغة المحطة بعد أن كانت قد صنعت الأداة الضرورية لتحقيق هذه الغاية بشقيها نتيجة إدراك عميق من أن مواجهة العالم الإسلامي ككتلة يصعب عليها تجاوز المشاكل والمعوقات التي يثيرها... ومن أن أسهل الطرق إلي ذلك هو وضع أجزاء هذا العالم الإسلامي في تقابل بيني حد التسليم من خلال مثال واقعي... فكان استهداف العراق بالاحتلال المباشر استهداف ينم على دراسة لا تخلو من فهم لبعض من الجزئيات المعلنة عن المنطقة، فالعراق استهدف بهذا الشكل والحجم الذي نعيشه ليس فقط كتجربة توفرت لها الإرادة الخيرة للبناء والتجديد الحضاري رغم ما لهذا العامل من دور فاعل ومهم في السلوك الأمريكي إزاء العراق وقيادته وإنما

كذلك لكونه يختزل مشاكل المنطقة كلها " تنوع ديني عرقي، الثروة والإنسان المتحضر للبناء والنهوض" في حيز جغرافي محدود. ولكون قيادته تنبعت لذلك ونبعت إليه سواء فيما يتعلق بشخصية المواطن العربي وما هي عناصر قوّة هذه الشخصية ومواطن ضعفها وكيفية علاجها أو في كيفية التعامل مع الخصوصيات القطرية وكيف يمكن أن تكون مدخلا للتأمر على الأمة مثلما هي ركيزة من ركائز البناء الحضاري بما في ذلك الموقف من الدين لذلك نرى إصرارا أمريكيا على تدمير كل شيء بالعراق مستخدمين شتى الوسائل... المعنوية والمادية... والمؤشرة في واقعه المعاش والمرئي... مرددة "الوضع في العراق سيكون مثالا لكل المنطقة"... فعل أفضي إلي :

(أ). بداية انقسام المنطقة علي أسس مذهبية (سنية - شيعية) حيث مثل احتلال العراق فرصة ثمينة لهذا التحالف لصناعة المثال أولا ثم العمل علي تقديمه كنموذج "ديمقراطي إقليميا وعربيا" ومن يشاهد الوطن العربي والعالم الإسلامي يكاد يقر بأن هذا المثال بدأ يأخذ حيزا في الحراك الاجتماعي سواء بصيغة تقابل أو محاصصة في أكثر من ساحة علي مستوي المنطقة بمعنى إن العراق قد أدى وظيفيا هذا الدور الذي مارسه ولازال يمارسه معظم من هم متصدرين لقيادته في ظل الاحتلال ممن قدمهم المحتل كسياسيين وساعدتهم في ذلك مرجعيات دينية لا يمكن حجب تأثيرها الاجتماعي بإفراز رجال الدين من نوع مستحدث وفي كلا الفرعين قبلوا لأنفسهم بدور أداة التغطية والتنفيذ في آن واحد.

(ب). ظاهريا حالة تحالف بينما هي في الحقيقة إعادة هيكلة وتصنيع الأداة المفرمطة في إطار لا يتجاوز تشريع إستراتيجية معادية لطموحات أبناء الوطن العربي عامة وبالضد من المشروع القومي خاصة تماما كتلك التي استلمت مقاليد السلطة القطرية غداة انسحاب الاستعمار المباشر من الأقطار العربية واستهلكت شخوصا وبرامج...

مؤشران دفع بالعديد من الأصوات المبحوحة منها الوالغة حتى الثمالة في الاصطفاف إلي جانب كل ما هو معادي للشعب والأمة العربية بمفهوم الحداثة وإعادة صياغة الواقع حسب مقتضيات العصر ومنها المتدربة علي صيغ الانتقال من حالة فكرية إلي أخرى نتاج طبيعة تكوينها أو المنخرطة في وظيفة الأداة المستعجلة علي تنفيذ ما موكولا لها نيابة من فعل تري أن ما هو قائم في الواقع العربي الحالة المواتية لتقديم نفسها بصيغة المنقذ... إلي الاجتماع حول نعي الفكر العربي كفكر ومشروع نهضة وتحرير لأمة غيبت إرادتها قسرا

والإعلان عن وفاته لا لكونه حالة حاصلة بقدر ما هو تعبير عن أمانى يعيشون عليها ويتمنون حصولها في الواقع... **بحكم حالتين :**

**أولا :** عوارض الضعف التي اعتلت أداء القوميين عامة القائمين فعلا أو خطابا علي مشروع النهضة العربية في مفاصله الأساسية (قضية فلسطين أساسا ومسألة التحرير أو الانخراط في التسوية والاعتراف بالكيان الصهيوني ومسألة النظرة للدولة القطرية في علاقاتها بما هو قومي اقتصاديا واجتماعيا) في جانبه السياسي البيني من ناحية ومن ناحية ثانية تقديم ما هو آني فيه علي ما هو استراتيجي جامع بغض النظر علي الحالة المضيئة التي مثلها العراق بنظامه الوطني والقومي المستقل إرادة وتصرفا منذ سبعينات القرن الماضي ضعف يتأكد خاصة فيما تعرضت له تجربة البعث في العراق إذ مما لا شك فيه من أن التضييق علي التجربة الوطنية والقومية في القطر العراق في مرحلة أولي منذ تأميمها النفط وأساسا منذ تأمينها للحدود الشرقية للأمة العربية بعد حرب دامت ثماني سنوات بصيغها الاقتصادية والسياسية والإعلامية وما رافقها من حملات شيطنة لكل ما هو قومي وعربي واستهدافها منذ 2003 تاريخ بداية احتلال العراق اجتثاثا بكل ما فيها من دعائم مادية وهيكلية وبشرية... لعب دورا أساسيا في مسألة التراجع والانكفاء الذاتي بصيغة الدفاع عند الخط الأخير... خاصة في الساحة القومية (حد خوف البعض من إمكانية أن يكون نزيل لغوتينامو) مضافا له حالات الانحراف في الخطاب القومي التي فعلتها عديد الهياكل السياسية الشعبية عن قصد أو تحت تأثير إستراتيجية الصدمة والترويع التي اقترن تفعيلها باحتلال العراق (المؤتمر العربي.. المؤتمر العربي - الإسلامي.. المؤتمر الإسلامي) والهياكل السياسية الرسمية (النظام العربي الرسمي... جامعة الدول العربية وتشريعها لاحتلال العراق لا بل الانخراط فيه سواء كأقطار أو كنظام عامة) الهياكل الإعلامية المتنفذة (الجزيرة والعربية وجملة القنوات التي تكاثرت بصيغة الفطر الإعلامي) أو بعض الإعلاميين ممن كانوا محسوبين علي المشروع القومي... والذين انخرطوا بصيغ متفاوتة في تلميع الصورة الكالحة لإيران بصيغة الجار المسلم/الأسلمة... الذي يجب أن نقبل بتواجده بمفهوم الطرف المتصدي للصهيونية والغرب... النتيجة أعباء عمقت حالة التوقوع والعودة المكتفية بالمحافظة علي ما هو قائم وترقب فعلا بصيغة الصدمة تنجزه المقاومة علي الساحة العراقية في قراءة منقوصة لطبيعة المواجهة كما بنتها وأطرتها القيادة الوطنية وفعلتها المقاومة العراقية الباسلة... مما أضفي علي حركة الفعل القومي

بصيغة مشروع عامة حالة لا تخلو من فقدان حيويته وتعرضه للنهش من أطراف متعددة...بلغ حد تصریح هذه الأصوات التيارات بنهايته وانفتاح الساحة علي غيره من المشاريع وهو ما نلاحظه في الصياغات التي كان يمدنا بها الهيكل المسمي "بالمؤتمر العربي - الإسلامي"... حقائق عمقتها طبيعة الأنظمة السائدة في تعميم الكبت والاستبداد وكلها مجتمعة شكلت الأساس أو قاعدة من القواعد التي أدت إلي تغييب الصوت القومي شعبيا وبالتالي تعبويًا... وأفضي إلي ما هو بائن الآن ماديا من خطاب ساسوي لا يخدم سوي إستراتيجية\*التدافع الاجتماعي\* الهادفة إحلال السلوكيات الغرائزية ووالكبر (رؤية الحق بعين الباطل والباطل بعين الحق) أي تغييب العقل بمفهوم مزيد إغراق الأمة العربية والشعب العربي في دائرة التشتت والصدام الداخلي...

**ثانيا:** يفعل العدو الخارجي كحقيقة قائمة وليس شعارا استخدمته الأنظمة العقائدية فحسب رغم ما فوتته هذه الأنظمة من فرص علي الأمة العربية والشعب العربي غير التي تراها هذه الأصوات... أصوات تؤشر في ذات الوقت وجود هذا العدو وبصیغ متنوعة في الحراك الشعبي العربي القائم حاليا وتقرها ذاتيا من حيث التفعيل المادي أو من خلال خطابها...ولا تتردد في الدعوة إلي تدخله وبصيغة علنية مقترنة بحجج تبريرية تلغي مفهوم الإجماع علي الوطن لفائدة شعارات تأكيدها العملي والميداني لا يمكن أن يكون ولن يكون إلا بصيغة التضحية الذاتية... **وكان ما هو قائم في الواقع العربي حاليا ثورة متناسية من أن الثورات لا تصنع...ويستحيل أن تنجح بهذا الأسلوب باعتبار أن الثورة لا تتم بطريقة تسليم المفاتيح من قوي خارجية تبحث علي السيطرة وتحقيق مصالحها...إذ لا يصح أن يتصور أحد أن هذه الدول وبطبيعة فعلها وما هو متراكم تاريخيا أو من ينوبها في الفعل (الأسلمة السياسية) تريد تحرير الشعب العربي أو حتى تمكينه من تحقيق إنسانيته... أصوات بمفهوم التيارات تناست أنهم مثلوا ولازالوا أكثر الأسباب التي شكلت تلك العوارض بما خلقوه من مواجهات سياسية سبقت ما هو سياسي آني علي ما هو سياسي إستراتيجي مؤسس في تقابل غريب مع مثيلاتها من أصوات التيارات ممن تجمعها بها وحدة العقيدة والخطاب في كل الساحات الأخرى غير الساحة العربية التي تؤكد علي الحضور القومي المستقل في فعلها... جعلها في النهاية جزء متمم للفعل الخارجي الدولي أو الإقليمي المستهدف للشعب والأمة العربية... واحتلال العراق وأطراف العمليات السياسية التي فرخها هذا الاحتلال بما**

طرحته وتطرحة حاليا أهم الدلائل المؤشرة علي ذلك...فما العمل لمواجهة ذلك؟

## **في الرد علي التحدي الامبريالي الصهيوني - اسلاموي بطرفيه (ولاية الفقيه x السلفية - الأصولية)**

إذا كانت المقاومة العراقية الباسلة وبكل فصائلها قد تجاوزت هذا الواقع وهي تواجه اعتي ماكينه عسكرية واقتصادية وإعلامية مما جعلها مستهدفة بشكل مباشر في مختلف صفحات المواجهة وما تواجهه من تعميم إعلامي وسياسي مقصود... تجاوز أشره لا افشال "مشروع الشرق الأوسط الجديد " فحسب بل انتصارها علي المحتل رغم ما يمتلكه من قوة في مختلف الميادين وإجباره علي الانسحاب رغم ما يكتنف هذا الانسحاب من حسابات مؤجلة...رابطة انجازاتها تلك برؤية إستراتيجية عمل لخروج الأمة العربية من أزمتها التي لا تستهدف قطر بحد ذاته بقدر ما تستهدفها عامة مع الكشف عن أطراف هذا الفعل سواء منهم الأطراف الدولية أو الإقليمية كما ورد في خطاب المجاهد عزة إبراهيم الدوري الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي والقائد الأعلى للجهاد والتحرير والخلاص الوطني القائد العام للقوات المسلحة في 07 نيسان/أفريل 2012...فالأحرى بالمتقفين والقوي السياسية ومنظمات المجتمع المدني العربية أن ترتقي إلي مستوى الظهير الساند إلي ما هو خير في هذه الأمة الذي تمثله الآن المقاومة العراقية فعلا وواقعا قائما... لا أن تتعامل مع الواقع علي أنه حقيقة مسلمة يصعب تجاوزها وإن كانت حالة الاستقالة والتخلي لها ما يبررها خلال عقد من الزمن تحت تأثير إستراتيجية الصدمة والترويع وبسبب العلاقات السلبية وسيادة الاستبداد داخل أقطار الوطن العربي... فالاستمرار علي ذات الحالة لا نجد لها أي مبرر أو تفسير موضوعي الآن بعد انهيار حاجز الخوف... بل الأسوأ أن يتحول بعض المثقفين والمنظمات والقنوات الإعلامية إلي وكالات تسويق للديمقراطية الغربية التي لا تقبل بغير انغماس الأعناق في وحل العمالة للأجنبي علي حساب الأرض والعرض ولا أعتقد أن شخوص ما أفضت إليه اللعبة الدموية الأمريكية في العراق ليست ماثلة أمام أبناء هذه الأمة صورة اكتملت بما أفضت إليه خطابات القرضاوي ومستعجلي سقوط رموز الاستبداد في ليبيا بأي ثمن كان.. أو التي تصدرت القيادة بصيغة المرحلة الانتقالية في قصر قرطاج والقصة وباردو(حيث مبني البرلمان) بتونس أو التي حلت في مؤسسات السيادة بمصر... وشتان بين من يلح ويستعجل سواء بقناعة فكرية أو نتيجة استجابة الطفرة للشارع لإسقاط أنظمة مستبدة في ظرفية يغلب عليها التداخل لا فقط المحلي وإنما

الأجنبي حتى ولو كان ذلك بكلفة أرواح وترويح خطاب الطوائف والعمل علي إنتاج الفتنة الكبرى بصيغة عصرية من خلال تغليفها بشعارات ظاهرها حق وباطنها تقسيم الشعب ومزيد تفكيك الوطن إلي كتتنونات طوائف ومذاهب... وبين الذي يؤكد حق الشعب في الكرامة والحرية والمشاركة في صنع القرار مع تجنيبه الشرذمة والقتال الداخلي...بين الذي يحصر اهتمامه في السلطة أولاً... وبين من يري أن السلطة ليست غاية في حد ذاتها بقدر ما هي وسيلة لخدمة الشعب علي طريق المبادئ... وحتى يستعيد الشعب العربي

**المبادأة تؤكد سيادة خطاب وفعل ميداني يؤكد الثوابت التالية :**

1- نبذ الصراعات بمختلف أشكالها الدينية والاثنية والفكرية بما يعيد للشعب لحمته ويضيق مساحة الفراغات التي من خلالها تتسرب القوي المعادية للأمة والشعب في الوطن العربي لزرع الفرقة وتوزيع الأمة أو الشعب إلي طوائف والوطن إلي كتتنونات.

2- الارتقاء بفعلنا الرفض للاحتلال ومشاريعه من المستوي اللفضي إلي المستوي المادي من خلال.

أ- دعم المقاومة في العراق واعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب العراقي والقطع مع نظام الاحتلال ومحاصرته ومعاداة النظم المساندة والداعمة له إقليمياً.

ب- دعم المقاومة في فلسطين والعمل علي فك الحصار عليها.

3- تأشير الانحرافات في الفكر والفعل للحركات الاسلاموية المصعدة والمصنعة.

4- في ظل الموت السريري للنظام العربي الرسمي دعوة كل القوي العربية السياسية الوطنية والقومية والإسلامية إلي الانتقال في عملها من مستوي مؤتمرات التدارس إلي صيغة الفعل الجبهوي بكل ما يعنيه العمل الجبهوي من تخطيط (برنامج قومي) وتصريف فعلي(هياكل) قومياً وقطرياً... وبما يمكنها من تمثيل الأمة والدفاع عن مصالحها القومية من خلال برامج واضحة تقطع مع صيغة منح التزكية النضالية.. تقدم الأمن القومي العربي علي الأمن الإقليمي لما يمثله هذا الأخير من مدخل للالتفاف علي حقوق الأمة التاريخية وبما يعطل حركتها ويشتت جهدها لخدمة إستراتيجيات أطراف إقليمية علي حساب مصالح الأمة العربية في التحرر والوحدة.. ولنا المثال البارز في تعدد المؤتمرات (العربي الإسلامي العربي الإسلامي) التي أصبحت منابر للمزايدة علي الأمة لا بل الاندساس بعقلية تغيب الحق وإبراز الباطل.

5- التأكيد والعمل علي أن تبقي ثوابت الأمة في رفض الاحتلال ومحاربتة والمشاريع

والمعاهدات الاستعمارية الصهيونية أو تلك المفروضة علي العراق حاضرة في تصورنا  
وفعلنا الميداني.

تونس في 2012/05/12